

جامعة محمد خيضر بسكرة  
كلية الآداب واللغات  
قسم الآداب واللغة العربية



# مذكرة ماستر

اللغة و الأدب العربي  
دراسات أدبية  
أدب عربي حديث و معاصر

رقم: ح 154 / 09 / 2018.

إعداد الطالب:

إلهام الغول

يوم: 24/06/2018

## السخرية في النص السير ذاتي "مذكرات الولد الشقي" ل: محمود السعدني أنموذجا

### لجنة المناقشة:

رئيس	أ. مس أ	جامعة بسكرة	شهيرة زرناجي
مشرفا ومقررا	أ. مح أ	جامعة بسكرة	نوال بن صالح
عضوا مناقشا	أ. مس أ	جامعة بسكرة	أحمد تاويليت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# مقدمة

الأدب ذاكرة تحتفظ بمعظم ما يصدر عن الإنسان من نتاج فكري، فهو مخزن للألوان الأدبية، التي أنتجتها قريحة الإنسان من شعر ونثر. والسيرة الذاتية واحدة من هذه الأشكال التعبيرية، التي تكتسي جانبا غير قليل من الأدبية سواء من حيث لغتها أو من حيث بنيتها السردية، هذا إلى جانب جعلها- أي السيرة الذاتية- ثراء التجربة الإبداعية لصيقا بالذات الإنسانية، التي تنقل لنا تجارب تاريخية أو واقعية حيّة، تجعلنا نلامس من خلالها أحاسيس وذاكرات و رؤى، ما كان لنا أن نلامسها ولا أن نتعرف بوجودها لولا جرأة الأديب في قراره الإفصاح عنها، و مشاركة القراء بعضا من تفاصيل حياة صارت جزءا من ذاكرته.

من الكتاب من يواجه صعاب الحياة بكل ما يملك من قدرة التدوين والبوح، فلا يستسلم لحبس الذكريات، بل قد يختار النظر إليها نظرة الساخر المتعال التي لا تحاسب النفس على خطاياها، بل تقبل ما اقترفت بروح ساخرة تحوّل التجارب إلى دروس تدفع للتفاؤل والنظر بفرح للمستقبل.

إن النصوص السيرداتية بما هي آثار فنية، لا تكتفي بالإحالة على العالم، ولا تهدف إلى تأمله والإخبار عنه فحسب، بل هي إلى جانب ذلك تتبدى في أشكال كلامية إبداعية، وتطمح إلى أن تكون ذات أبعاد جمالية متميزة، تضيف إلى الإفادة المعرفية إمتاعا بجمالية العالم الموصوف، ومنه جاءت فكرة هذا البحث الموسوم بـ: السخرية في النص السير ذاتي "مذكرات الولد الشقي" لـ: محمود السعدني أنموذجا.

وبدافع من رغبتنا في البحث عن مكونات الخطاب الساخر في النص السير ذاتي سعينا إلى الإجابة عن بعض الأسئلة، التي تراود أي باحث في هذا الحقل المغموم الذي يمتزج معه الجد بالهزل و الضحك بالبكاء..

إذا فالكتابة الساخرة فن صعب المراس لا يتوافر إلا لقلّة قليلة من الأقلام، إذ لا بد من نضج فكري وصحة نفسية حتى يصل الكاتب درجة معينة تؤهله لأن يصير كاتباً ساخراً .

وعلى هذا الأساس، دفعنا فضولنا العلمي إلى البحث عن قدرة السعدني في تحقيق السخرية في نصه السير ذاتي، ومن خلاله حاولنا طرح الأسئلة الإشكالية الآتية:

ما طبيعة السخرية؟ وما دوافعها؟ وكيف تشكلت البنى الساخرة في النص السيري؟ وكيف يمكن للذات الساخرة أن تقنع القارئ إذا كان موضوع السخر هو الذات نفسها؟ وكيف تجلت السخرية في المدونة في المستويات: التعبيرية، الحكائية، الطباعية؟

خلف هذه الإشكالية كانت تكمن رغبة ذاتية، في أن نعرض موضوعاً يتناول سخرية الشخص من ذاته، التي اعتدنا فيها أن يسخر المرء من غيره ومتابعته متابعة دقيقة، أما السبب الثاني محاولة تسليط الضوء على أعمال محمود السعدني لسبر أغوار الأسلوب الساخر في ثنايا الحقيقة التي يقولها النص السير ذاتي. هذا إلى جانب ندرة الأبحاث التي تتعاطي مع السخرية في النص السير ذاتي بوجه خاص.

على هذا الأساس جمعت مفاصل البحث في هيكل مقدمة ومدخل نظري وفصلين تطبيقيين و خاتمة. وقد ذيلنا كل فصل بخلاصة توجز ما تم الوصول إليه من العناصر المدروسة.

تناولنا في المدخل ضبط بعض المصطلحات ذات الصلة بالسخرية، من مثل تعريفها بشقيها اللغوي والاصطلاحي، مع المرور بدوافعها، كما وقفنا عند معنى السيرة الذاتية لغة واصطلاحاً، مع الالتفات إلى أقسامها . محاولين المزج بين هذين العنصرين ومعرفة السخرية في النص السيرداتي.

درسنا في الفصل الأول أساليب السخرية في الرواية عبر ستة أساليب، كانت الوجهة الأولى إلى التصوير الكاريكاتوري، التي انطلقنا بعدها إلى التلاعب بالألفاظ متجهين صوب التصوير بالمحاكاة، مروراً بالسخرية عن طريق الصوت والحركة بالإضافة إلى القلب والعكس، متوقفين عند حدود المناداة بالألقاب.

أما في الفصل الثاني فقد ارتأينا دراسة السخرية في المستويين "الطباعي والحكائي"، وقد توزع كل مستوى على ثلاثة عناصر. المستوى الطباعي ضم (الغلاف المقدمة، الصور المصاحبة). أما المستوى الحكائي فقد تم فيه دراسة (الشخصيات الحوار، اللغة). وفي الختام خرجنا بنتائج توصلنا إليها أوردناها في الخاتمة.

ولمعالجة حيثيات هذا الموضوع استعنا بالمنهجين الأسلوبي و السيميائي بحسب متطلبات موضوع الدراسة، الذي يعالج ظاهرة أسلوبية في نص ذي بنية سردية.مثلما

وظفنا المنهج التاريخي لأفق غير تاريخي. إن لجوعنا لآليات متعددة ومن مناهج مختلفة كان أمرا لا بد منه لتغطية جوانب النص الساخر شكلا ومضمونا.

إلى جانب مدونة البحث، اتكأ العمل على مكتبة علمية ثرية تعالج السخر من قريب نذكر من بين الكتب:

\_ زهير مبارك، السخرية في الرواية العربية.

\_ حامد عبده الهوال، السخرية في أدب المازني.

- باسم ناظم سليمان ناصر المولى، سيكولوجية الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمذاني.

- سوزان عكاري، السخرية في مسرح أنطوان غندور.

- شاكر عبد الحميد، الفكاهة والضحك رؤية جديدة.

والحقيقة أن متعة البحث في هكذا موضوع والفائدة العلمية الحاصلة، قد هون علينا أمر الصعوبات التي اعترضت سبيلنا في البحث، و إن كان لا بد من ذكرها فإن أبرزها: ندرة المراجع التي تتعاطى من النص السيرذاتي الساخر، إلى جانب إشكالية تحليل النصوص الساخرة نفسها بأساليبها المراوغة و شخصية الساخر/الكاتب المموهة داخل السيرة.

# مدخل

ضبط المصطلحات وبسط المفاهيم



# مدخل

## ضبط المصطلحات وبسط المفاهيم

أولاً: السخرية.

1 . تعريف السخرية:

1.1 لغة

2.1 اصطلاحاً

2 . دوافع السخرية.

1.2 تخفيف آلام النفس

2.2 النكاية بالخصم

3.2 التقويم والتهديب

4.2 الفكاهة والمرح

5.2 المحافظة على كيان الجماعة

6.2 كسب المال و الجاه

ثانياً: السيرة الذاتية:

1 . تعريف السيرة الذاتية:

1.1 لغة

2.1 اصطلاحاً

2 . الفرق بين السيرة الذاتية و السيرة الغيرية

3 . أقسام السيرة الذاتية:

1.3 التبريرية

2.3 الرغبة في اتخاذ موقف ذاتي من الحياة

3.3 التخفيف من ثورة أو انفعال

4.3 تصوير الحياة المثالية

5.3 تصوير الحياة الفكرية

6.3 الرغبة في استرجاع الذكريات

ثالثاً: السخرية في النص السير ذاتي

## أولاً : السخرية

تعد السخرية واحدة من الفنون الأدبية التي عبرت عن الحياة الإنسانية، ولكن بطريقة مختلفة بعيدة عن الأسلوب الجاد، متبنية نوعاً من التلاعب بالألفاظ، إذ هي لسان المجتمع في مواجهة الواقع. والسخرية ظاهرة قديمة في الآداب العالمية، والأدب العربي ليس استثناء في مجال اتخاذ السخرية منها في التعبير ورؤية للعالم.

" لقد كانت السخرية ولا زالت من العناصر التي تلفت نظر الباحثين والنقاد في الأساليب الأدبية، فإذا أريد وصف أديب بما يعني خفة الظل وبقربه إلى نفوس القراء قيل أنه يستخدم السخرية في كتاباته، أو هو أديب ساخر، وقد يوصف الأسلوب بأنه أسلوب ساخر، أو العبارة بقولنا: عبارة ساخرة"<sup>1</sup>. فهي حصيلة ما يسود الواقع من تغيرات وتناقضات التي غيرت حياة الفرد والجماعة، وعليه تتبني السخرية على الموارد واللعب اللغوي والتعريضات البلاغية، التي تكشف متناقضات الواقع.

## 1. تعريف السخرية:

**1.1 لغة:** لقد تعدد تعريف مصطلح السخرية وتنوع في المعاجم العربية، وذلك حسب استخدامه في السياق، فوجد ابن منظور في لسان العرب في مادة (سخر) يقول: " سَخِرَ منه وبه سَخْرًا وسَخْرًا ومَسْخَرًا وسُخْرًا، بالضم، وسُخْرَةً، وسُخْرِيًّا وسُخْرِيًّا وسُخْرِيَّةً: هزئ به ويروى في بيت الأعشى باهلة على وجهين:

إِنِّي أَتَّئِي لِسَانًا، لَا أَسْرُبُ بِهَا      مِنْ عَلْوٍ، لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سَخْرٌ.

<sup>1</sup> حامد عبده الهوال، السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ط، 1982، ص 15.

ويروي: ولا سَخَرُ، قال ذلك لما بلغه خبر مقتل أخيه المنتشر.

قال الأزهري: وقد يكون نعتاً كقولهم: هم لك سُخْرِيٌّ وَسُخْرِيَّةٌ، من التذكير قال: سُخْرِيًّا، ومن التأنيث قال: سُخْرِيَّةٌ<sup>1</sup>. ومنه نستطيع القول أن السخرية تعني القهر والاستهزاء، وبالتالي فهي تقوم على النظرة المتعالية للآخر، التي تنظر إليه نظرة تحقير واستخفاف بقدراته.

كما لا يخرج تعريف الخليل بن أحمد الفراهيدي من نفس هذه الدائرة فقد جاء في كتاب العين سخر: "سَخَرَ مِنْهُ وَبِهِ، أَي اسْتَهْزَأَ وَالسُّخْرِيَّةُ مُصَدَّرٌ فِي الْمَعْنَى جَمِيعًا وَهُوَ السُّخْرِيُّ أَيْضًا.. وَالسُّخْرَةُ الضُّحْكَةُ، وَأَمَّا السُّخْرَةُ فَمَا تَسَخَّرَتْ مِنْ خَادِمٍ وَدَابَّةٍ بَلَا أَجْرٍ وَلَا ثَمَنٍ"<sup>2</sup>. قال الله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾<sup>3</sup>. فقد وردت في مواضع عدة في القرآن الكريم ما يقارب عشرين موضعا.

فجل المعاجم العربية ترى بأن السخرية لا تخرج عن حدود الاستهزاء والضحك والقهر والفكاهة، فهي تفتح للقارئ آفاقا متعددة.

<sup>1</sup> ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (س خ ر)، مج 7، دار صادر، بيروت ط1، 1997، ص259.

<sup>2</sup> الفراهيدي الخليل بن أحمد، كتاب العين، تح، عبد الحميد هنداوي، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003 ص226.

<sup>3</sup> سورة المؤمنون ، الآية 110.

**2.1 اصطلاحاً:** يعود أصل المصطلح إلى الكلمة اليونانية (Eironeia) التي اشتق منها المصطلح الأوربي (Ironie , Irony) للسخرية "وكانت هذه الكلمة وصفاً للأسلوب في كلام إحدى الشخصيات بالملهاة اليونانية القديمة المسمى ( Eiron ) وكانت هذه الشخصية تتميز بالضعف والقصر والخبث والدهاء"<sup>1</sup>. والباحث في مفهوم السخرية يرى بأن لها جذوراً فلسفية، تحمل في طياتها معنى قريباً من المعنى الذي تحمله في الآداب العربية الحديثة كالبحت في النقائص وتتبع العيوب.

فالسخرية على ذلك " نوع من التأليف الأدبي أو الخطاب الثقافي، الذي يقوم على أساس الانتقاد للرزائل والحماقات والنقائص الإنسانية الفردية منها والجماعية"<sup>2</sup>. وبهذا فهي طريقة من طرق التعبير ناقلة ما يشوب العالم من نقص، حاملة على عاتقها التغيير إلى ما فيه الصلاح للفرد والمجتمع.

والساخر يرصد ويراقب ما يجري من أخطاء، ويستخدم وسائل وأساليب خاصة في التهكم بها أو التقليل من قدرها، أو جعلها مثيرة للضحك، أو غير ذلك من أساليب يقصد من ورائها محاولة التخلص من بعض الخصال، والخصائص السلبية في المجتمع<sup>3</sup>. فالسخرية تتدرج ضمن أدب الفكاهة الذي يسعى إلى هدف واحد وهو الإضحاك من خلال البحث في العيوب الإنسانية سواء أكانت فردية خلقية أو خلقية

<sup>1</sup> عبد الرحمان محمد محمود الجبوري، السخرية في شعر البردوني دراسة دلالية، المكتب الجامعي الحديث، العراق د ط، 2011، ص 11.

<sup>2</sup> نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، دار حامد، عمان، ط 1، 2012، ص 16.

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أو تخص المجتمع. إذ إنها لا تهدف دائماً إلى التهذيب والتقويم، قد تضر أهدافاً أخرى كالتقليل من قيمة شخص أو مجتمع معين.

أما المازني فعرفها بأنها: "العبرة عما يثيره المضحك، أو غير اللائق من الشعور بالتسلي أو التقرز، على أن تكون الفكاهة عنصراً بارزاً، والكلام مفرغ في قالب أدبي".<sup>1</sup> فعنصر الفكاهة والطرافة تحكمه قواعد لغوية تضبط أي عمل أدبي، وبهذا التعريف نستطيع أن نحدد أهم العناصر التي تقوم عليها السخرية متمثلة في ثلاثة عناصر:

**الأول:** اشتغالها على الفكاهة و الاستهزاء.

**الثاني:** تصاغ في عبارات أدبية مؤثرة.

**الثالث:** الغرض منها التسلية، أو الانتقام في صورة الاستهزاء.<sup>2</sup> ويمكن إضافة

عنصر رابع متمثلاً في النقد والهدم بهدف إعادة البناء؛ لأنها تحاول أن تنقل لنا ما في الحياة من سلبيات وتنقدها بهدف إصلاحها وتقويمها.

ويصفها الدكتور شوقي ضيف وصفاً فيه شئ من التفصيل بقوله: "السخرية أرقى

أنواع الفكاهة لما تحتاج من ذكاء و خفاء ومكر، وهي لذلك أداة دقيقة في أيدي الفلاسفة

والكتاب..."<sup>3</sup>؛ فالسخرية ليست بالأمر السهل على العكس من ذلك، فهي تحتاج إلى

<sup>1</sup> إبراهيم عبد القادر المازني، حصاد هشيم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د ط، 2012، ص 249.

<sup>2</sup> ينظر سعيد أحمد غراب، السخرية في الشعر المصري في القرن العشرين دراسة وتحليل ونقد، دار العلم والإيمان دسوق، ط1، 2009، ص22.

<sup>3</sup> شوقي ضيف، في الشعر والفكاهة في مصر، دار المعارف، القاهرة، د ط، 1999، ص 65.

ذكاء و فطنة حتى تكون أكثر تأثيرا في المتلقي وتحدث وقعا في نفسه، ومنه فهي تعتمد على كسر أفق انتظار المستمع لأنها تقوم على الخداع اللفظي.

وقد أعطى الفلاسفة وعلماء النفس اهتماما كبيرا لدراسة ظاهرة الضحك وتجلياتها وربطها بالنواحي النفسية للإنسان.. وحاولوا تقسيم الضحك إلى: إيجابي؛ وهو الضحك الذي ينبعث عن غير غرض أو هدف الإضحاك، وهو ما يطلق عليه (الفكاهة). وضحك سلبي؛ وهو الضحك المتولد من الشعور بنقص الآخر، أو ضعفه بمعنى أن له هدفا وغرضا معينا وهو السخرية<sup>1</sup>، التي تعبر عن خلجات النفس من قلق واضطراب وغيرها، وبهذا فالغرض منها الإضحاك أو النقد.

ويعتبر فرويد (Sigmund Freud) النكات التي يطلقها الناس " نوعا من التطهير أو متنفس للمكبوتات من العواطف"<sup>2</sup>. بمعنى أنه علاج لبعض الحالات التي يعاني منها البعض من الناس، فهو يساعد على تفجيرها حتى لا تبقى حبيسة النفس، وبهذا يتخلص منها ويحس براحة نفسية.

ويذهب فرويد إلى أن " المواقف الفكاهية مثلها في ذلك مثل حالة اللهو أو اللعب تقوم دائما على مبدأ اللذة (Pleasure Principle)، وتكاد تخلو من كل أثر من آثار

<sup>1</sup> ينظر سعيد أحمد غراب، السخرية في الشعر المصري، ص 21 - 22 .

<sup>2</sup> نقلا عن: سوزان عكاري، السخرية في مسرح أنطوان عندور، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، د ط، 1991 ص 29. نقلا عن: Freud, Sigmund: jokes and their relation to the unconscious. 1905, p 237.

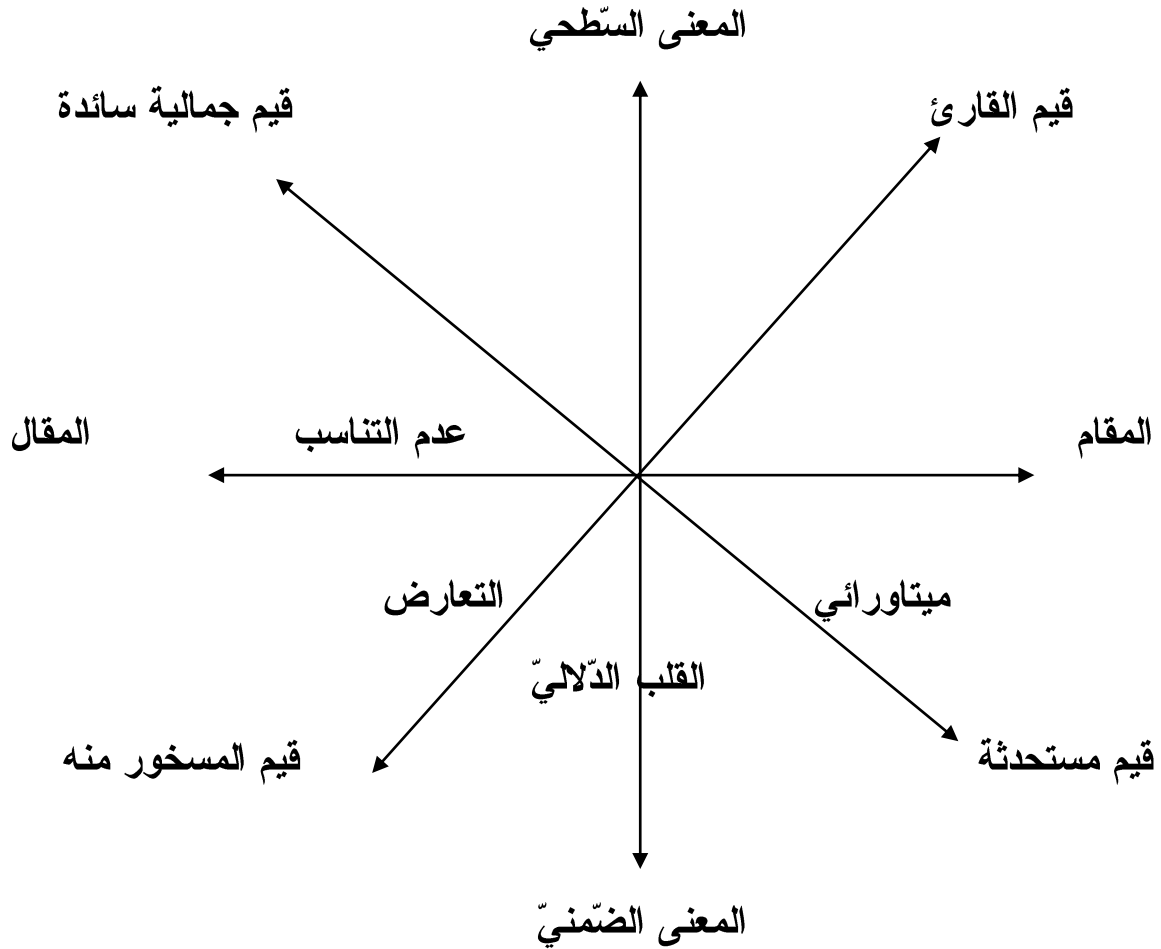
الواقع الجدي المتجهّم<sup>1</sup>. وبهذا يجعل الساخر من أدبه متعة؛ لأنه يخرج من عالمه إلى عالم أكثر فكاهة ومنفعة من ناحية الإنتاج الأدبي تنوعا وثراء.

وربما يمكننا القول إن السخرية الأدبية خطاب لغوي، ينهض على خلق المفارقات ضمن عملية تواصل مؤجلة ومعقدة؛ بمعنى أنها خطاب مكتوب يمكن رصده من خلال نص أدبي، فهي نسق دلالي يشكله الساخر على امتداد أثره الأدبي. فعملية الفهم صعبة تحتاج إلى أكثر من قراءة في بعض الأحيان .ويقصد بخلق المفارقات أنه يحدث تأثيراته في المستقبل من خلال إثارة ذهوله وتخيب أفق انتظاره<sup>2</sup>، فهي تلميح أكثر منها تصريح. وهذا ما جعل منها فنا صعب المراس لا يتقنها أي إنسان، وإنما يحتاج صانعها إلى مجموعة من الصفات التي تؤهله لذلك . ويمكن رصد الخطاب الساخر وأطرافه من خلال هذا الرسم:

<sup>1</sup> عبد العزيز شرف، الأدب الفكاهي، الشركة المصرية العالمية، مصر، ط1، 1992، ص60.

<sup>2</sup> ينظر زهير مبارك، السخرية في الرواية العربية، مركز الرواية العربية، تونس، ط1، 2011، ص62-63.





### خطاطة رقم (1)

رسم توضيحي لحيثيات الخطاب الساخر<sup>1</sup>

وربما نستطيع أن نطبق على هذا الرسم قولنا : للبخيل أكرمك الله . فنلاحظ عدم مناسبة المقال للمقام، بحيث نكرم البخيل لبخله بدل أن نقول له: "يهديك الله"؛ فالمستمع يتفاجئ عند السماع بمثل هذا الرد، فيحاول أن يفهم الغرض من هذه المقولة. فقيم الساخر تتنافى وقيم المسخور منه، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على تعارض قيم

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص63.

الساخر مع قيم المسخور منه، بمعنى أن الساخر يرفض البخل ويعبر عن رفضه بمعنى خفي عند قوله " أكرمك الله"، فهو يريد أن يستهزئ به وذلك من خلال قلبه للدلالة فالبخل نقيض الكرم.

## 2. دوافع السخرية:

لقد تعددت الدوافع المؤدية إلى السخرية وذلك لما فيها من تعبير عن الاضطرابات والمساوئ والسيئات ومعايب الفرد والمجتمع، والتي من بينها:

### 1.2 تخفيف آلام النفس: كثيراً ما تمتلئ النفس بالغضب والحقد والألم لأسباب

اجتماعية أو سياسية أو دينية، فيقع الإنسان بين عاملين :عامل يدفعه إلى الثورة والانتقام، وعامل يمنعه من ذلك مراعاة للتقاليد والعرف، ولكن بالعقل المدبر والفكر الراجح يقود إلى التنفيس عما يحتبس في النفس، وذلك عن طريق السخرية التي تكون حلاً وسطاً يخفف آلامه<sup>1</sup>. فهي ملجأ الأديب للتنفيس عن مكبوتاته بحثاً عن واقع بديل عن الواقع الذي يعيشه.

### 2.2 النكاية بالخصم: وقد يلجأ الأديب إلى السخرية رغبة في النكاية بخصمه

والتهوين من شأنه، مستخدماً البراعة الكلامية، بدل استخدام القوة الجسمية، فتكون

<sup>1</sup> ينظر محمود العناني، فن السخرية في أدب الجاحظ، الدكتوراه، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية ، قسم الأدب والنقد، 1974، ص 26.

السخرية أكثر إيلاماً، لذلك اتخذها الفلاسفة و الكتاب أداة فعالة<sup>1</sup> ومساعدة لهم في مواجهة العدو، ليس ضعفا منهم بل لما لها من أثر ووقع على النفس .

### 3.2 التقويم والتهديب: " إبراز الخطأ قصد تهذيبه، و إصلاحه عن طريق

السخرية منه ليخاف ذلك العيب إن لم يكن فيه، وليبرأ منه كله أو بعضه إن وجد فيه. فتعالى شخص ناقص لا يحسُّ ما فيه من نقص ، فيضطر الأديب الساخر إلى أن يرده إلى صوابه أو منطقته، فيحاول حين ذلك البحث عن عيوبه و يضخمها ويكبرها ، بهذا يجعل منها وبفنه أداة للضحك"<sup>2</sup>. فالساخر يزرع الوعي في النفوس من خلال إشعار الفرد بضرورة تقويم أخلاقه والابتعاد عن القبيح، فهي تقام لأمرين:الإصلاح إن وجد الخطأ والتنبية له إن لم يوجد لتفاديه وعدم الوقوع فيه.

### 4.2 الفكاهة و المرح: تمتلئ الحياة بالأعمال الجادة التي تشغل الإنسان، تستهلك

وقته ونشاطه، وللنفس البشرية ضيق من الجدّ، هذه الحياة العابسة التي يلتزم فيها بالجدّ والصرامة، لايحتمل ولا يمكن أن تستمر، فلا بد أن يهرب إلى متنفس، ومنتفسيها الضحك الذي يعيد للجسم نشاطه<sup>3</sup>. فالإنسان أصبح بحاجة إلى الضحك الذي ينفي على النفس ما طرأ عليها من الأحزان.

<sup>1</sup> ينظر المرجع السابق، ص28.

<sup>2</sup> إيمان طبشي، النزعة الساخرة في قصص السعيد بوطاجين، ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، ورقة، 2010، ص 32.

<sup>3</sup> ينظر محمود العناني، فن السخرية في أدب الجاحظ، ص 32.

**5.2 المحافظة على كيان الجماعة:** وذلك من خلال حماية عاداتها وتقاليدها ومعاينة الخارجين على قوانينها، وخلق جو من الألفة و التفاهم ، فبالألفة و المحبة يتنازل الساخر عن شيء من وقاره، وتسود الروح الجماعية، يقول زكريا إبراهيم: "إنه حينما تسخر الجماعة الواحدة من غيرها من الجماعات باعتبارها جماعة مغايرة لها، فإنها تحافظ بهذه السخرية نَفْسُها على صميم كيانها الاجتماعي"<sup>1</sup>. وبهذا عندما يسخر شخص ما على حادثة ما أو تصرف ما ويضحك الناس بمعنى أنهم يتفنون معه أنه تصرف غير لائق ومنافي لأخلاقهم وتصرفاتهم، إذ يصبح موضوع السخرية سمة بارزة في المسخور منه وتصبح لصيقة به.

**6-2 كسب المال و الجاه:** وقد تكون السخرية وسيلة لكسب لقمة العيش "وتحقيق الجاه، وصناعة حرفة ، يتقنها صاحبها ويتفنن في إبداعها ، وينوع في أشكالها وضروبها حتى تصير بضاعة يقبل الناس على شرائها، فيرفع الساخر قدرها ويغلي ثمنها"<sup>2</sup>. فهي وسيلة من وسائل كسب المال، من خلال الأعمال الإبداعية التي تمثل وجهة العديد من القراء لاحتوائها على عنصر الضحك.

<sup>1</sup> زكريا إبراهيم، سيكولوجية الفكاهة والضحك، دار مصر للطباعة، مصر، د ط، د ت، ص 49.

<sup>2</sup> محمود العناني، فن السخرية في أدب الجاحظ، ص 35.

## ثانيا: السيرة الذاتية

لقد اختلفت صور التعبير عن التجربة الإبداعية من مبدع لآخر، وكل واحد منهما عبر عنها بطريقته الخاصة، هناك من اتجه إلى الشعر وهناك من اختار النثر كل حسب رغبته، لكن أحيانا يضطر المبدع أن يكون كاتباً، متى ما كانت الحاجة ماسة إلى الكتابة عن حياته.

إن فن كتابة السيرة الذاتية نوع قديم من الأدب، وهو قد مر بتغيرات مع مرور الزمن لأن العرب كانوا يعرفون هذا الفن في العصر الجاهلي أيضاً، وهذا يعني أن هذا الفن ليس حديثاً في الأدب العربي بل إنه نوع معروف فيه<sup>1</sup>. فكل شخص في هذه الحياة لا بد له من ذكريات في أية ناحية من نواحيها العلمية أو الاجتماعية أو الفكرية أو السياسية وعند تصريحه بها يجعل منها فناً أدبياً.

## 1. تعريف السيرة الذاتية:

**1.1 لغة:** اشتقت من الفعل الثلاثي ( س ي ر ) حسب ما ورد في معاجم العربية وعلى رأسها معجم لسان العرب لابن منظور ، الذي ورد فيه : " السيرة هي الطريقة أو السنة أو الهيئة. ويقال: سار بهم سيرةً حسنةً. والسيرةُ: الهيئةُ . وفي تنزيل العزيز ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سُنْعِيهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾<sup>2</sup> و سِيرَ سِيرَةً:

<sup>1</sup> ينظر عبد المجيد البغدادي، " فن السيرة الذاتية وأنواعها في الأدب العربي"، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب باكستان، العدد23، 2016، ص 190.

<sup>2</sup> سورة طه، الآية 21.

حَدَّثَ أحاديث الأوائل . و سارَ الكلامَ والمثلُ في الناس : شاع ويقال: هذا مثلٌ سائرٌ وقد سَيَّرَ فلانٌ أمثالا سائرة في الناس"<sup>1</sup>. وبهذا فهي تتبع البدايات الأولى لحياة الفرد والهيئة التي كانت عليها.

ومصطلح السيرة الذاتية (Autobiographie)، حسب قاموس لاروس (Larousse)، يتركب من: "الحياة (Bio) الذات (Auto)، الكتابة (Graphie)"<sup>2</sup>. فالسيرة الذاتية انطلاقاً من هذا التعريف، هي كتابة الحياة الفردية التي يرويها المؤلف بنفسه، فهو الذي يسرد الأحداث و الوقائع بقلمه دون تدخل أي وسيط.

## 2.1 اصطلاحاً: وإن اختلفت التعريفات لدى الدارسين بخصوص وضع تعريف

جامع مانع للسيرة الذاتية، إلا أنهم اتفقوا في وضعهم للسمات العامة لهذا الجنس الأدبي يعرفها فيليب لوجون (Philippe Lejeune) قائلاً: "إنها حكي استعادي نثري، يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية، وعلى تاريخ شخصيته"<sup>3</sup>. فهي تعمل على إمطة اللثام عن الجانب الغامض في حياة شخصية معروفة منطلقاً من محطات مهمة من حياتها من خلال العودة إلى الخلف.

وبهذا يكون فيليب لوجون قد وضع حدود أربعة لجنس السيرة الذاتية: هي قصة نثرية، موضوعها المطروق تروي حياة فردية وتاريخ شخصية معينة. إذ لا بد من

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، مادة (س ي ر)، ص 389.

<sup>2</sup> Le Petit Larousse illustré ; 75283 paris cedex 06; p 127. ترجمة ذاتية.

<sup>3</sup> فيليب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، تر، عمر حلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994 ص22.

التطابق بين المؤلف والسارد. تطور الحكى؛ باعتباره حكيا استعاديا استرجاعيا بالضرورة<sup>1</sup>، لكن غياب معيار واحد منها أو أكثر، يُخرجُ هذا الأثر الأدبي من مسيره المطلوب.

نجد تعريف محمد عبد الغني حسن يقترب من تعريف فيليب لوجون إذ يقول :  
" الترجمة الذاتية هي أن يكتب المرء بنفسه تاريخ نفسه، فيسجل حوادثه وأخباره ويسرد أعماله، ويذكر أيام طفولته وشبابه وكهولته، وما جرى له فيها."<sup>2</sup>

من خلال ما تقدم من تعريف لمصطلح السيرة الذاتية ، فقد لوحظ أنها صورة حقيقية للشخص السارد للأحداث، لأي لحظة مهمة في الحياة التي صنعتها الظروف الاجتماعية والسياسية والفكرية، يعبر صاحبها عن حالته النفسية وظروفه المحيطة به فمن خلال هذه الظروف يقدم لنا الأحداث، انطلاقا من مرحلة الطفولة فالشباب والكهولة إلى غاية المرحلة التي يريد التوقف عندها، ومنه نستشف المحطات المهمة التي صنعت لنا هذا الأديب .

ولا يختلف تعريف يحيى إبراهيم عبد الدايم في قوله : "الترجمة الذاتية الفنية هي التي يصوغها صاحبها، في صورة مترابطة على أساس من الوحدة و الاتساق في البناء والروح...وفي أسلوب أدبي، قادر على أن ينقل إلينا محتوى وافيا كافيا عن

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص22.

<sup>2</sup> محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1980، ص 25.

تاريخه الشخصي على نحو موجز... وهذا الأسلوب يقوم على جمال العرض، وحسن التقسيم وعذوبة العبارات وحلاوة النص الأدبي"<sup>1</sup>.

فجميع هذه التعريفات متفقة على أن السيرة الذاتية عمل أدبي، يصاغ في قالب إبداعي فني بطريقة محكمة ومتسلسلة، بحيث يتوافر على جودة التعبير والتناسق بين أجزاء النص، وبهذا يقدم لنا صورة واضحة عن حياته. وبطبيعة الحال الأديب كغيره إنسان يعيش في مجتمع يتعامل مع الناس لا يخلو من العيوب، إذ لا يمكن أن ننفي أنه لديه إيجابيات التي أوجده في الساحة الأدبية.

## 2. الفرق بين السيرة الذاتية والسيرة الغيرية:

هناك من لا يفرق بين السيرة الذاتية والغيرية، ومنه فإن السيرة الذاتية (Autobiography)، وبهذا المفهوم تختلف عن السيرة الغيرية (Biography) فالأولى "تعرض لحياة صاحبها فتعكس مشاعره وعواطفه، ومواقفه من الحياة في صورة تستبطن أغوار النفس وخلجاتها، وبهذا فهي أوغل في الصدق، وأوقع في النفوس، لأن مؤلفها صاحبها، فلا يوجد وسيط لعرض أحداث حياته وآرائه ومواقفه في الحياة"<sup>2</sup>.

ومنه فإن الثانية تعرض لحياة غيرها من خلال الوقائع والذكريات والمقالات... إلخ. تنطلق من عنصر وسيط يمدّها وتمدنا بالمعلومات اللازمة، وبهذا

<sup>1</sup> يحيى إبراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، د ت ص 10.

<sup>2</sup> شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث رؤية نقدية، دار العلم والإيمان، دسوق، ط1 د ت، ص 13.



نتمكن من التمييز بينهما: فالأولى تتبع من الذات الساردة للأحداث، في حين الثانية هي نقلا عن الذات الساردة.

ففي السيرة الغيرية يكتب المؤلف " تاريخ شخصية أخرى وهو في هذه الحالة يتمثل تلك الشخصية في البيئة والزمان الذين عاش فيهما، معتمدا على الذاكرة أو المشاهدة ، ملتزما الحياد فيما يكتب . ففيها يستعين الكاتب بكل ما لديه من وثائق حتى يصل إلى داخل النفس التي يكتب عنها ليظهرها"<sup>1</sup>. فالسيرة الغيرية تمنح للأديب أو الكاتب فرصة الذبوع والانتشار وخاصة إن كان هذا الكاتب غير معروف؛ فهي تعرف به وبأدبه خاصة إن كان يريد الكتابة عن نفسه، ولكن لم تسمح له الفرصة لأسباب خاصة.

إذا نجد السيرة الذاتية، " شكلا من أشكال الكتابة الأدبية الوثائقية ، ولا تزال تمثل منجزا أدبيا لدى مختلف الثقافات، هي حصيلة تجربة في الحياة التي لا تخلو من تجارب، وعطاءات وعبر، وخاصة من بلغوا مرحلة الشيخوخة، وتوقفوا عن العطاء."<sup>2</sup> من خلال هذه الفروقات نستطيع أن نقول أن كاتب السيرة الذاتية يعتمد على ما عاشه في نقله الأحداث، فهو يكتب عن إحساسه الشخصي، وآرائه، والأحداث من زاوية رؤياه. لا يستطيع أي شخص أن يضيف شيئا جديدا، فهو يجيب عن أي تساؤل يطرح عليه دون الخوف من إمكانية عدم صحة الإجابة، فهو يستعين بالذاكرة الذاتية

<sup>1</sup> نعمة شعراني ، أدب السيرة سيرتك مفتاح وظيفتك، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط 1، 2004، ص 7.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص9.

في حين نجد كاتب السيرة الغيرية دائما بحاجة إلى وسيط؛ فهو لا يكتب من عنده وإنما يستند إلى وثائق ومعلومات التي يجمعها عن الشخصية المراد الكتابة عنها، فهو يكتب حقائق خالية من المشاعر والأحاسيس، فهو في بعض الأحيان نجده يتحدى عراقيل تواجهه وخاصة في مرحلة جمعه للمعلومات.

### 3. أقسام السيرة الذاتية:

ويمكن تقسيم السيرة الذاتية في التراث العربي \_ تبعا لحوافزها \_ إلى الأنواع

الآتية:

**1.3 التبريرية:** وهي التي كتبت للدفاع أو الاعتذار، يعتذرون فيها عن أفعال

قاموا بها لم يفهمها العامة من الشعب، كما فعل "ابن خلدون" في " التعريف بابن

خلدون شرقا وغربا"<sup>1</sup>. يكتبها صاحبها حتى لا يبقى متهما في نظر الناس، ويصبح

بريئا عندهم وبراءته هي الحقيقة وما كان يجول في أذهانهم سوى تزييف للحقيقة .

**2.3 الرغبة في اتخاذ موقف ذاتي من الحياة :** " كأن يصل إلى مذهب خاص

أو سلوك بعينه، ومن أصدق الأمثلة في أدبنا العربي عن هذا اللون الذي يصور

الموقف الشخصي الذي اهتدى إليه صاحبه بعد طول بحث وتحري، ما كتبه عن نفسه

كل من محمد بن زكريا الرازي في " السيرة الفلسفية" ، والغزالي في "المنقذ من

<sup>1</sup> نعمة شعراني، أدب السيرة، ص 12.

الضلال"<sup>1</sup>. فتعبر بذلك عن حوصلة التجارب التي مر بها بعد مروراً من الزمن، فيقدم من خلالها الكاتب المذهب الذي يعتقد بأنه الأصح وكأنه يريد أن يدعوا إليه.

### 3.3 التخفف من ثورة أو انفعال: " وممن أفصح عن ثورة نفسية على بيئته

ومجتمعه وصور صراعه الهادر أبو حيان في " مثالب الوزيرين"، وفي رسالته "الصداقة والصديق"<sup>2</sup>. ونخلص بأن سبب كتابة السيرة الذاتية في بعض الأحيان يكون نابعا من دافع داخلي لصاحبه، وذلك من أجل أن يعبر عن تجربته المؤلمة، وبما مر به من متاعب ليثبت للجميع قدرته على تجاوز الصعاب، وأنه لم يصل إلى ما وصل إليه إلا بالجهد والعناء، لأن النجاح يأتي بعد عناء كبير وصبر طويل.

### 4.3 تصوير الحياة المثالية : وذلك من خلال " الإفصاح عن حياة صاحبها وما

أتيح له من خبرات روحية وخلقية وفكرية.ومن أمثلتها ما كتبه عن نفسه كل من عبد الرحمان الجوزي في كتابه ( لفتة الكبد في نصيحة الولد )<sup>3</sup>، ليكون صاحبها قدوة للآخرين في جميع مناحي الحياة.

### 5.3 تصوير الحياة الفكرية: وهذا النوع يعتمد فيه الكاتب إلى " تسجيل كل ما أثر

في تكوينه العقلي وتطوره الفكري. وأدبنا القديم والوسيط يحفل كثيرا بهذا النوع منهم"<sup>4</sup>

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 12.

<sup>2</sup> شعبان عبد الحكيم محمد ، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص 26.

<sup>3</sup> نعمة شعراني ، أدب السيرة، ص 12.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 13.

فهو ينقلنا إلى البيئة التي شكلته وشكلت أدبه أي العوامل التي ساعدت في تكوين فكره  
(من كتب وأساتذة)

### 6.3 الرغبة في استرجاع الذكريات : ومن أمثلتها في الأدب العربي " كتاب

"الاعتبار" لأسامة بن منقذ؛ الذي قدم لنا فيه تصويرا حيا لشخصية الفارس الجسور  
وللفروسية العربية، من خلال تصويره لحياته وشخصيته. ومنها كتاب "طوق الحمامة  
في الألفه والآلاف" لابن حزم؛ الذي جرى فيه مجرى الاعتراف حين يبوح بذكريات  
شبابه العاطفية"<sup>1</sup>. هذا النوع من السيرة يكون أكثر ارتباطا بالتاريخ؛ لأن الهدف من  
ورائها هو إعادة إحياء للذكريات بالعودة إلى الخلف، والوقوف عند مرحلة معينة في  
فترة زمنية ما.

### ثالثا: السخرية في النص السير ذاتي:

إذا كان الأدب الفكاهي يميل إلى تصوير الحياة بطريقة فيها نوع من المرح  
معتمدا في ذلك على الملاحظة الخارجية لتصرفات البشر، فإن الأمر يختلف بالنسبة  
لن السيرة الذاتية، التي تصور لنا الحياة الشخصية للمؤلف، فيصفها وصفا نابعا من  
ذاته، فهو يعبر عن أحداث واقعية جرت له. إلا أنه في عملية نقله لها يختلف من  
شخص لآخر، فهناك من يعمد إلى الأسلوب المباشر، وهناك من يتخذ أساليب أخرى  
مواربة كالسخرية.

<sup>1</sup> نعمة شعراني، أدب السيرة، ص13.

ليس من السهل أن نقف على الجانب المضحك من شخصيتنا؛ لأنه في الكثير من الأحيان يحاول الإنسان أن يخفي عيوبه، إلا أنه في تقديمها بأسلوب ساخر يجعل القارئ قريباً من ذات الكاتب، ويكون إبداعه الفني أكثر تأثيراً .

فالساخر في هذه الحالة يسخر من الحقائق التي كان يجهلها، والتصرفات التي كان يراها صائبة وتشعره بالمتعة، و يسخر كذلك من نقائص المجتمع. فمن خلال تجربته في الحياة يعيد النظر فيها، فهو بذلك ينقلنا إلى عوالمه: الطفولة والشباب والكهولة إلى غاية الفترة المخصصة بالذكر، فالغرض منها النقد بهدف التقويم والإضحاك بعد ذلك، بل والإفادة من تجارب الحياة.

فالسخرية من الذات هي كشف وتجل للحقائق المتخفية، التي لا يعلمها سوى الشخص الساخر والذي يمثل المسخور منه في الوقت نفسه. من هذا المنطلق يكون النص السير ذاتي من أكثر فنون الأدب استدعاءً للسخرية، إذ تنطلق العين الساخرة لاستكشاف العيوب و النقائص، معالجة إياها بطريقة فكاهية تتبنى الضحك أسلوباً في التعاطي مع العيوب، بل إن هذه العين قد تحول عدستها للذات نفسها في مراحل حياتها المختلفة و تجاربها المتنوعة، لترتقي بالسخرية إلى أشد المراتب النقدية الموضوعية.

ومجمل القول إن فن السخرية لا يقتصر على السخرية من نواقص الآخر، فقد

يسخر المرء من نفسه وهذا ما جسده محمود السعدني في "مذكرات الولد الشقي".

# الفصل الأول

أساليب السخرية في الرواية

# الفصل الأول

## أساليب السخرية في الرواية

1. التصوير الكاريكاتوري.
2. التلاعب بالألفاظ.
3. السخرية بالحاكاة.
4. السخرية عن طريق الصوت والحركة.
5. السخرية عن طريق القلب والعكس.
6. المناداة بالألقاب.

لكل فن من الفنون أدواته وأساليبه الخاصة به التي تميزه عن غيره، فالسخرية تعبير واسع يدل على موهبة الأديب وقدرته على صياغة وانتقاء اللفظ المناسب المؤدي إلى الغرض، بطريقة مغايرة فيها نوع من التلاعب بمقاييس اللغة، وهذا ما يجعل أساليبها متعددة بحسب قدرة كل أديب وذكائه في إضفاء نوع من الطرافة والفكاهة والمرح، وهذا ما يجعل عمله أكثر جاذبية وإقناعا بما يريد إيصاله.

فليس هناك حتمية للأسلوب الساخر " إلا ما يثيره هو بمجموعه"<sup>1</sup>، وهذا ما جعله يختلف من شخص إلى آخر، ومن منطقة إلى أخرى فالموقف واحد ولكن كل شخص يلتقطه بنظرته الساخرة بطريقة مختلفة. فهذا عدّ الأسلوب بعامة " طريقة في الكتابة وهو من جهة أخرى طريقة في الكتابة لكاتب من الكتاب ولجنس من الأجناس، ولعصر من العصور"<sup>2</sup>، إذ يستطيع أي إنسان أن يميز بين عمل كتب في العصر الجاهلي، وعمل كتب في العصر الحديث، وذلك من خلال أسلوب الكتابة. فمهما تداخلت الأفكار والرؤى بين الكتاب إلا أن الأسلوب هو الحد الفاصل بينهم.

وهذه الكلمة لا تخص المجال اللساني وحده، بل استعملت في مجالات أخرى عديدة من مجالات الحياة اليومية والفن: يتحدث عن " الأسلوب" في الموضة، والفن

<sup>1</sup> حامد عبده الهوال، السخرية في أدب المازني، ص40.

<sup>2</sup> بيار جيرو، الأسلوبية، تر، منذر العياشي، دار الحاسوب، حلب، ط2، 1994، ص9.



والموسيقى وفي المائدة والسياسة... إلخ<sup>1</sup>. فالأسلوب خاصية فردية لأي عمل إنساني سواء أكان لسانی أو خاص بأي مجال من مجالات الحياة .

يجسد لنا الأسلوب طريقة تفكير صاحبه، ونظرته للأشياء وموقفه من الحياة. ويعرف من ناحية مبدئه الفني الجمالي "بأنه استخدام أدوات التعبير استخداما واعيا لغايات جمالية"<sup>2</sup>، تُظهر سمات خاصة بالعمل الأدبي، ومنه نستطيع تمييز أسلوب كاتب عن آخر.

ولا شك أن الشعب المصري مثله مثل بقية الشعوب العربية" شعب ساخر بطبعه ومرح يحب الفكاهة، ويرسلها في أخرج المواقف، وهذه قدرة طبيعية في هذا الشعب الذي عاصر الزمن في كل ظروفه...، ولكن الشعب المصري في هذا اللون من ألوان التعبير قد سجل تميزا واضحا ربما في الكم والكيف معاً. حتى أصبح يشتهر بذلك في مختلف دول العالم"<sup>3</sup>.

وهذا لا يعني أن المصريين يبدعون في هذا اللون أكثر من غيرهم، وإنما عرفوا به بالرغم من وجود هذا النوع من الإبداع عند آخرين، فلكل شعب طريقته في الفكاهة وأسلوبه الخاص في صنع النظرة الساخرة للأشياء.

<sup>1</sup> ينظر هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر، محمد العمري، أفريقيا الشرق

المغرب، د ط، 1999، ص 51.

<sup>2</sup> مسعود بودوخة، الأسلوبية وخصائص اللغة الشعرية، عالم الكتب الحديث، الأردن، د ط، 2011، ص 15.

<sup>3</sup> حامد عبده الهوال، السخرية في أدب المازني، ص 75.

فالنظرة الساخرة هي " أحد أهم أساليب المواجهة (Coping Styles) ، التي يستعين بها الإنسان في التغلب على بعض آلامه النفسية الخاصة، كما أنها أحد الأساليب التي تستعين بها المجتمعات في مواجهة بعض مشكلاتها السياسية والاقتصادية"<sup>1</sup>، فيكون الباعث من ذلك محاولة تحويل الألم إلى تعبير لينقص ويخفف من شدته ويعالج المشاكل العامة بروح خفيفة.

والسخرية تعتبر أرقى أنواع الفكاهة؛ لأنها " تحتاج إلى قدر كبير من الذكاء والخفاء والمكر. ولذلك اتخذ منها الفلاسفة والأدباء أداة يستخدمونها في دقة لبيان رأيهم في شتى الأمور"<sup>2</sup>. فهي في استخدامها المراوغ للغة تحاول أن تجعل من النقائص موضوعا لها.

وتكتسب " مذكرات الولد الشقي" خصوصية تجعلها ضمن الأدب الساخر. والسخرية في هذا الباب هي الموجه للسرد، ولها القدرة على خلق صور مضحكة مؤثرة في المتلقي، وذلك في عرضها للأحداث والشخصيات الواقعية. مع الاستناد إلى قوة الخيال ليجعل من هذه الوقائع عملا مميزا.

ومن بين الأساليب التي اتكأ عليها في سخريته :

<sup>1</sup> شاكر عبد الحميد، الفكاهة والضحك رؤية جديدة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، 1978 ص8.

<sup>2</sup> حامد عبده الهوال، السخرية في أدب المازني، ص 18.

## 1. التصوير الكاريكاتوري :

وقد لا تعتمد السخرية على الكلمة " بل تعتمد على ألوان وخطوط وظلال وأضواء كما في فن الرسم الساخر (الكاريكاتير)"<sup>1</sup>، وعلى ذلك يتأسس فهمنا للحوادث والشخصيات المسرودة بطريقة يحاول فيها الأديب أن يخرج عن المألوف، ويعرضها عرضاً مصبوغاً بصبغته الخاصة فيها تنوعاً وتجديداً.

وفن الكاريكاتير يقوم أساساً على " تشويه النماذج الإنسانية على نحو ما كان يمكن أن تشوه من تلقاء ذاتها لو ذهبت بتجدها إلى أقصاه"<sup>2</sup>. ففي الكثير من الأحيان يكون التصوير مبالغ فيه ، إلا أنه يحاول تقريب هذه الصورة إلى الذهن تقريباً بسيطاً مضحكاً.

والكاريكاتير يقوم على تكبير جوانب الضعف أو القبح في شيء ما فيبالغ فيها بقصد استغلال الطبيعة في بيان عنصر التشويه، فتكون باعثاً على الضحك في الوقت الذي تؤدي فيه غرضاً اجتماعياً وإنسانياً عظيماً، وقد تطور فن الرسم هذا تطوراً كبيراً اليوم بفضل تطور الفنون نفسها وتطور الإنسان نفسه في تناول الأمور ومناقشتها والاستفادة من الأحداث<sup>3</sup>. فالصورة الإنسانية المرسومة بالرغم من عنصر المبالغة إلا أنها قريبة إلى الظاهر، ترسم صوراً مضحكة فيها تهكم مشتملة على كل العناصر

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص18.

<sup>2</sup> علي محمد السيد خليفة، الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمداني دراسة تحليلية ، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1 2010، ص83.

<sup>3</sup> ينظر حامد عبده الهوال، السخرية في أدب المازني، ص18.

الأساسية المؤدية للضحك. إذ لا يقتصر التصوير على المظهر الخارجي مثلما يفعل الرسام بل يشمل حتى الجانب النفسي .

يفرق توفيق الحكيم بين الهجاء والكاريكاتور بقوله: "إنك بالهجاء تريد أن تنال ممن تهجو، بالحق وبالباطل، بالحقيقة أو بالافتراء، دون أن تقصد في كل الأحوال أن تثير فينا الضحك منه، أو تظهرنا على مواضع فيه باعثة على العبث به والتندر عليه!"<sup>1</sup> ففيه محاولة للطعن في كرامة المهجو والإحاطة به، ربما بدافع الغيرة والحسد أو لأسباب أخرى.

أما في (الكاريكاتور) فإن الغرض الأول، "هو البحث عن الغلطة المحسوسة في تكوينه الجسماني والتفتيش عن الخلة الممقوتة في طبعه الخلفي، وتضخيمه هذا العيب وإبرازه على نحو يجعله في نظر القارئ طاغياً على ما عداه من صفات"<sup>2</sup>. فقد تخرج السخرية في بعض الأحيان إلى أغراض أخرى تكون لأسباب خاصة، كالتقليل من الشخص المسخور منه، وتكون الصور المقدمة عنه هي تشويه له لا غير لا أساس لها من الصحة هي تزييف للحقيقة.

وتتصف الشخصيات الكاريكاتورية التي رسمها محمود السعدني في مذكراته بأنها شخصيات متغيرة \_في الغالب\_ لا يظهر منها جانب واحد، فهي تؤثر فيها الحوادث وتأخذ منها شيئاً، فهي شخصيات متطورة وتفاجتنا خلال السرد بجوانب جديدة فيها

<sup>1</sup> توفيق الحكيم، فن الأدب، دار مصر للطباعة، د ط، د ت، ص 32.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

نتيجة تفاعلها مع الأحداث. أول شخصية يقدمها لنا هي شخصية الشيخ الذي يقول عنه: "والشيخ محمد قصير كأنه تلميذ نسيه أهله فشاب شعر رأسه، مقوس تماما كأنه حدوة حصان انبرت من كثرة الاستعمال..<sup>1</sup>. يعرض لنا الصفات الدالة عن كبر السن وإنما في طريقة عرضه لها حاول تقديمها بأسلوب مضحك، وهذا ما يمنحها سرعة النفاذ إلى عقول أكبر عدد ممكن من الجماهير.

وقال في موضع آخر عن أحد المارة: "وذات صباح مر في الشارع رجل أسود كالليل، طويل كالمارد، سريع كأنه أرنب جبلي"<sup>2</sup>. فنلاحظ أنه في عملية الوصف هذه أخرج هذه الشخصية من المجال الإنساني ووصلها بالمجال الحيواني؛ لأنه عندما يقول سريع ويسكت هذا أمر عادي ولكن، عندما يقول كالأرنب ويخصص بعد ذلك مباشرة بالحاق كلمة الجبلي يجعل الأمر مبالغاً فيه.

وتبدو خطى محمود السعدني على نفس هذا الدرب حين يسخر من إحدى الفتيات بقوله: "ودخل إلى المطبعة ومعه فتاة تضحك في دلال وتهتز وتقفز، كأنها فرخة يطاردها أحد"<sup>3</sup>، ما شد انتباهه حركاتها، فالمتعارف عليه في الغالب أن الفتاة تمشي في وقار وحياء، فهو لا يعرف سبب هذه الحركات التي تقوم بها، وهذا ما جعله يسخر منها ويشبها بالفراخ عندما يطاردها أحد، ولكن هذه الفتاة لا يوجد من يطاردها فهي تطارد نفسها، مما يسهم في تجسيد التصوير الساخر في رسم كاريكاتوري قريب.

<sup>1</sup> محمود السعدني، مذكرات الولد الشقي، دار القلم، القاهرة، د ط، د ت، ص 9.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 14.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 16.

وعند حديثه عن علاقته بوالدته يتمادى في سخريته، يقول: "لأكون حر بعيداً عن رقابة أمي التي تلاحتني كالديدان"<sup>1</sup>. حتى وإن حاول تقديم العديد من الصور عن حالة والدته التي ترافقه حيثما كان، لا يستطيع إيصالها بالطريقة الكافية؛ لأن الأم بالرغم من كل شيء تحاول أن تكون مع أولادها في أي مكان. أما البنية العميقة لهذه الصورة فتومئ إلى اللامبالاة التي كانت شعار محمود السعدني في التعامل مع الآخرين حتى مع أقرب الناس.

إذ يسخر الكاتب من شخصية **عبد العال** المدرس قائلاً: "سمينا كالطور ثقيل الدم كأنه ترسة، مفترسا كأنه ضبع"<sup>2</sup>، وهذه صفات تتصل بحجم الجسم، وتشير إلى ضخامته التي تجاوزت الحد، فينتقل من الصفات الخلقية إلى الأخلاقية، بأنه كان يتعامل معهم بأسلوب فيه قساوة لدرجة أنه يشبه الحيوان في تعامله .

ومن الطبيعي أن تختلف طبيعة النفس الإنسانية وتتفاوت استعداداتها من شخص لآخر، فلا يمكن العثور على إنسان يماثل آخر بين بني البشر عامة، على إثره تختلف سلوكياتهم<sup>3</sup>، والثقل هنا يقصد به ثقل الروح وهو أمر يترتب عليه عدم قبول لهذا الشخص برغم من عدم وجود عداوة مسبقة، إلا من خلال طريقته في المعاملة . وفي هذه الصورة التي قدمها لنا قوة الوصف وبراعته في تعرية القبح، وخاصة عند اشتغالها على الصفات الخلقية والأخلاقية معاً وهذا ما يجعلها أكثر تأثيراً وإضحاكاً.

<sup>1</sup> المدونة، ص19.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص15.

<sup>3</sup> ينظر عزيز صالح، الفكاهاة في النثر العباسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010، ص188.

ويعرض في موقف آخر لشخصية صديقه " كمال " الذي كان يختلف عنه في تصرفاته " كمال هادئاً كأنه تمثال، بطئ الحركة كسلحفة! يتيم الأم، ضعيف البنية مثل حالي!"<sup>1</sup> مستخدماً صيغ التعجب لوجود الاختلاف بينهما في الطبع.

فصيغ التعجب " تعمق من وجوه ذهول الساخر من الواصف، وترسّخ في القارئ وعياً بخروج هذه الصفات الجسدية والذهنية عن المألوف في الطبيعة، وقد يعنى الواصف في تأكيد الملمح المتصلب في المسخور منه، ومماهاته بالأشياء المتصلبة"<sup>2</sup> ومحمود السعدني هنا يعطي \_ على سبيل السخرية \_ صور متلاحقة كلها تكشف لنا عن شخصيته وذلك عندما يتحدث عن كمال وهدوئه الذي شبهه بالتمثال ، وهذا يدل على أنه حركي؛ لأنه يسخر منه ويجعله مثل الجماد مثل شيء لا توجد فيه روح، إلا أنه في نهاية الوصف يتكلم عن نفسه عند وصوله لنقطة يشتركان فيها معا وهي ( البنية النحيفة)؛ لأنه يريد تعرية القبح وليس امتداح الجمال، لأن القبح هو الذي يخلق مواطن الضحك والإضحاك حسب اعتقاده.

فيقول عن نفسه: " كنت أزحف كالودودة مع غزالي إلى حارتنا"<sup>3</sup>، وهي صورة

ممتلئة بالحركة رسم لنا من خلالها حركته الدائمة.

<sup>1</sup> المدونة، ص22.

<sup>2</sup> زهير مبارك، السخرية في الرواية العربية، ص 111.

<sup>3</sup> المدونة، ص27.

إذ يقول أيضا: "بينما كانت رأسي تتحرك كأنها بزمبلك، وعيوني تمسح الطوابير كلها ولا تستقر على شيء"<sup>1</sup>، إن الحركات التي يقوم بها السعدني تلفت النظر وتقيم جو من الفكاهة والمرح وتثير لدينا الضحك.

يوصل حديثه عن نفسه قائلا: "نهضت مذعورا كأرنب، ولكنه خلصني من ذعري"<sup>2</sup>، وقد تعددت صور هذا التعبير في مذكراته، وهي تعكس قدرته على الإضحاك، وذلك من خلال طريقة اختياره للكلمات لخلق معاني مضحكة. فقد سخر السعدني من ذاته وجادت قريحته بتدفق صور متعددة مشحونة بالسخرية.

ويقول في حادثة وقعت له بسبب حركته الدائمة ومغامراته التي لا تنتهي "أطلقت صرخة رعب شديدة وبدأت أعوي كأنني كلب جربان وقع في شباك عسكري جمعية الرفق بالحيوان"<sup>3</sup>. فهو بذلك يرسم صورة بشعة، يتحمل فيها مسؤولية أخطائه، ويعترف بذنبه الذي ارتكبه خاصة عندما قال (الرفق بالحيوان) ، ولم يحدد حتى اسم هذا الحيوان فقد شبه نفسه بجميع الحيوانات .

وتستكمل الصورة الكاريكاتورية أبعادها في فضح تصرفاته غير الأخلاقية تصرفات صبي شاذ لا يستطيع أن يتوقف عن الرذائل، لا يمر عليه يوم إلا ويقع في مصيبة أكبر من غيرها.

<sup>1</sup> المدونة، ص 27.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 34.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 40.



ويصف حالته في نهاية هذه المغامرة بقوله: " ووقفنا نلهث ونهتز كأننا عيدان قصب جافة دب فيها السوس ثم هبت عليها رياح الشتاء!"<sup>1</sup> . فاعتماده على هذه الصور لإظهار العيب والنقص، لقد منحنا فرصة التعرف على كثير من الصور المتعددة الأشكال، فقد صور نفسه بالحيوان تارة والأشياء الملموسة تارة أخرى. فهو يقدم لنا المآسي والآلام التي مر بها في قالب مضحك، مستعيراً من السخرية أساليبها وصورها المضحكة ليخفف من حدتها.

ويقول عن العم شحاتة الذي كان ينصب عليه ولم يدفع له حق ما كان يأكل من الكشوى: "واقفاً على الناصية يتحفز ويتملظ كأنه قط ينتظر فأراً على وشك الخروج..وعم شحاتة خلفنا يعدو كأنه فيل عجوز!"<sup>2</sup> وهنا محمود السعدني يلمح بذكاء سوء حال العم شحاتة وهو يترقبه، ويعرض سوء ردهم وهروبهم وملاحقة هذا الشيخ العجوز لهم. فنلاحظ أن حياته مليئة بالفوضى يقدمها بروح ناقدة مرحة للإثارة والتشويق ثم الإضحاك.

ويسخر في موضع آخر من إحدى الشخصيات الهامشية قائلاً: " كان خلف قصيراً دميماً كأنه خنفسة."<sup>3</sup> فمنظر هذا الصبي الذي يشبه الخنفسة قبيح، ربما عندما ينظر إليه شخص آخر لا يرى منظره قبيح لهذا الحد.

<sup>1</sup> المدونة، ص40.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص39.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص120.

معايير القبح والجمال تختلف من شخص لآخر، وهنا تكمن مهمة الفنان الساخر في التصوير، فهو بما يمتلكه من خصائص فنية يستطيع بلمساته أن يحول القبح إلى جمال والعكس. وهذا الأمر لا يتأتى لأي شخص بقدر ما يتأتى للفنان الساخر، والذي قلنا عن قدرته استغلال أدنى مظهر يواجهه في جسم الإنسان فيعمل فيه أسلوب المبالغة تصغيراً أو تكبيراً ليوصل بعد ذلك الضحك<sup>1</sup>، فالساخر يمتاز بذكاء وقوة البديهة، وهذا ما يجعله يتميز عن غيره، من خلال نظرتة الثاقبة للأشياء وربطها بغيرها وإنتاج صور متعددة.

فتتوالى هذه الصور يقول: "طاش صوابي كأنه عصفور فر فجأة من قفصه انتابني رعب كأن أسداً برز من جوف الغابة على جسمي من الداخل."<sup>2</sup> يعبر عن حالته النفسية المعتمرة بالدهشة والذهول والخوف، فهو يعيش حالة من الضغط النفسي نرى استحالة صموده بوجه هذه المصيبة التي وقع فيها التي تضمر وتبدي له الشر في نفس الوقت، وهو يعلم بذلك لهذا قدم لنا صورة الأسد. فقد تكرر استخدامه للصور المعبرة عنه وكأنه يتباهى بما يفعله حتى وإن كان ما يفعله باطلاً.

كما تكمن السخرية أيضاً في قوله عن مدرس الجغرافيا: "سمينا كالعجل، أصلح كأن رأسه شطفت بمحراث"<sup>3</sup>، والشيء المثير للضحك في عرضه لهذه الشخصية هو ربطه بين ما في هذا الرجل من عيوب وخلو رأسه من الشعر، وبين الأرض التي

<sup>1</sup> ينظر علي عزيز صالح، الفكاهة في النثر العباسي، ص 118 - 119 .

<sup>2</sup> المدونة، ص130.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص74.

تشطف بالمحراث بعد الزرع والأمر نفسه بعدما أصبح هذا الرجل أصلع. وعملية المزج بين الصورتين ما هي إلا محاولة لطيفة من الكاتب لتتويع من صور السخرية.

وقد امتد تأثير السعدني فيمن حوله، فما هو يصف أهل البيت وخاصة عندما تسخر أخواته البنات من أمه لعدم معرفتها للقراءة: "يتحول البيت إلى عويل وعواء وكأننا في حديقة حيوان"<sup>1</sup>. فهو يقدم لنا صور عن حياته في الشارع والبيت والمدرسة.

" إن سخرية الإنسان من نفسه عمل اجتماعي ونفسي، يحقق التوازن المفروض أن يكون بين الإنسان وبين مجتمعه وبينه وبين نفسه، فنتيح الراحة والسعادة للفرد وتطمئن المجتمع على بقائه"<sup>2</sup>، ولهذا تتحول عدسة التقاطه للصور إلى الأوضاع السياسية والاقتصادية بصور تعج بالسخرية ، ويقول عن شخصية المأمور: " الذي كان يبدو كالأسد منذ يومين أصبح كالقطة في هذه اللحظة"<sup>3</sup>.

كثير من الحكام والقادة يقعون في خطأ جسيم حينما يتخيلون أن سطوتهم وسياط عذابهم ورهبة سجونهم وغيرها، من صنوف النكال كفيلة بأن تجنبهم جراحات الألسنة ووخزات النوادر ولهيب الأنفاس المكبوتة<sup>4</sup>. فهم لا يعلمون أنهم بذلك يزرعون فيهم الحقد والكراهية فكل قوي هناك من هو أقوى منه، فهو من خلال هذه الصورة يقدم صورة الاستبداد .

<sup>1</sup> المدونة، ص19.

<sup>2</sup> حامد عبده الهوال، السخرية في أدب المازني، ص35.

<sup>3</sup> المدونة، ص175.

<sup>4</sup> سعيد أحمد غراب، السخرية في الشعر المصري، ص200.

ومن صور العلاقات الاجتماعية في الشارع المصري صورة الرجل الظالم المجرم يقول عنه: " يزحف كالتمساح مرة ليتلقى صفعات إبراهيم، ومرة أخرى ليمزق بشفرة حلاقة جلد رجل آخر أشد عنه غلبا!!"<sup>1</sup>. متعجبا من تصرفات هذا الإنسان الوحشي بحيث يمزج بين مرارة الحدث والأسلوب الساخر .

إن الصور الكاريكاتورية التي تحفل بها المذكرات تمثل أقوى درجات السخرية يقول: " كان محمود الحكيم شديد القصر كلما رأته حسبت أنه رجل يجلس على كرسي."<sup>2</sup> هذه صفات جوهريّة في جسم الإنسان، وتلفت النظر من أول نظرة، فلا يمكن لأي فرد أن يغير فيها شيئا. إلا أن السعدني يحاول دائما تقديمها بطريقة مغايرة ليتمكن من سلب ضحك المتلقي دون عسر أو صعوبة.

لقد حاول وضع طاقته في سبيل ما كان يراه ملائما لقدراته، ومثير للضحك بحيث يخرج لنا السخرية في شكلها الأمثل.

## 2. التلاعب بالألفاظ:

تمتاز اللغة العربية بسعتها التعبيرية باستخدام أساليبها المختلفة منها الصريح ومنها الغامض، بمعنى أن بعض الأساليب " تحمل أكثر من وجه واحد في الفهم كالتورية مثلا والكناية، هي الأخرى من أساليب الكلام في اللغة. وتحدث المغالطة في فهم المتلقي عندما يكتفى له عن أمر ما، يشابه كنية أمر آخر يكون معناه متبادرا وحاضرا في

<sup>1</sup> المدونة، ص176.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 102.

الذهن، كأن يكون الأول منها رفيعاً في معناه والآخر وضيعاً<sup>1</sup>. فاللفظ مفتوح للعديد من الدلالات فاللغة العربية تمتاز بالكثافة، فلا يمكن حصر لفظ واحد في معنى واحد، إذ يمكن أن يخرج لمعاني كثيرة حسب استخدامه في السياق اللغوي.

والسخرية عن طريق اللعب بالألفاظ " أسلوب قديم من أساليب السخرية والتهكم قدم اللغات الحية. وطريقته أن يلعب السامع باللفظ الذي سمعه، فيعكسه إلى معناه الآخر معتمداً على الاشتراك المعنوي في اللفظ الواحد، وقد يحدث تلاعب لفظي غير مراد؛ لأنه ينشأ عن خلط بين اللفظ الذي نطق به المتكلم، ولفظ آخر قريب منه توهمه السامع فيزداد الموقف تعقداً وإضحاكاً<sup>2</sup>. وبهذا تختلف طريقة توصيل الفكرة من كاتب لآخر، وهذا ما ولد كثيراً من الأساليب، فالتلاعب باللفظ ليس مقتصرًا على الأدب الفكاهي، بل يشمل حتى الأدب الجاد، ولكن ليس بنفس الدرجة التي يكون عليها في الأدب الفكاهي؛ لأنه فيه يحاول الأديب أن يجعل من أدبه وسيلة للضحك.

فأساس المتندر أن "يكسب الألفاظ معاني غير معانيها الواضحة، تمويهًا على السامع وسخرية به"<sup>3</sup>، فعملية القلب هذه هي التي تؤدي إلى الضحك تعمل على تغيير الجو.

فمن ذلك "أن ابن الرومي كان يتطير بالأسماء، ويتشام بالألفاظ، ويقارنها مع الأجل والموت، ويظنها دليلاً على الفقر وسوء الحظ، فكان الأخفش مولعاً بمفاكحته

<sup>1</sup> علي عزيز صالح، الفكاهة في النثر العباسي، ص 217.

<sup>2</sup> سعيد أحمد غراب، السخرية في الشعر، ص 72.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فيقرع عليه الباب صباحًا، فإذا سأل: من بالباب؟ قال له مرّة بن حنظلة، أو نحو ذلك من الأسماء التي يتطير بها، فيحبس ابن الرومي نفسه في بيته، ولا يخرج يومه كله"<sup>1</sup>. وفي هذه الحالة يصبح اللفظ دالا على معاني خاصة، غير المعاني التي يعرف بها فكل شخص ينزاح به حسب منظوره الخاص.

إذا فاللعب بالألفاظ هو التصرف بالألفاظ وإخراجها عن القاعدة التي وضعت من أجلها، وبالتالي فهو مثير للضحك<sup>2</sup>؛ لأنه عند قلب اللفظ يقلب المعنى، والمعنى الجديد المنبثق عن هذا اللفظ يكون مضحكاً.

ورد اللعب في الألفاظ في مذكرات الولد الشقي في قوله: "مدرستي هي المدرسة اليتيمة في الجزيرة"<sup>3</sup>، فقد تلاعب بلفظ ( اليتيمة ) الدالة على الشخص الذي يفقد أحد أبويه أو كلاهما، إلا أنه أدرجها في هذا في هذا السياق؛ لأن المدرسة تقع في منطقة خالية، وتتخللها مستنقعات وبرك ومساحات شاسعة من الأرض الفارغة.

ويقول عن نفسه: "وكالة أنباء توزع أنباء مرض الزمراني أفندي"<sup>4</sup>، وهذا يدل على براعة السعدني في النثر الهزلي الساخر، بحيث يستطيع اللعب بالألفاظ الهادفة وتحويلها بكل احترافية إلى ألفاظ عابثة ساخرة، فالقارئ لهذه العبارة يظن أنه يتحدث عن وكالة أنباء في حين أنه يتحدث عن نفسه لسرعة بثه الخبر.

<sup>1</sup> نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة، ص58.

<sup>2</sup> ينظر باسم ناظم سليمان ناصر المولى، سيكولوجية الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمذاني، المكتب الجامعي

الحديث، الاسكندرية، د ط، 2012، ص93.

<sup>3</sup> المدونة، 31.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص38.

إذ يقول عن (العم شحاتة) عندما فقد صبره منه؛ لأنه كان يبيع له الكشرى ويأجل الدفع إلى يوم آخر، وهكذا دوليك: "ومش عيب تاكلوا فلوسي.."<sup>1</sup>. فبالرغم من الشقاوة التي كان يقوم بها، إلا أنه في تقديمه لها يدرك كل دارس موهبته الأدبية وقدرته في التحكم في الألفاظ، التي لا تخلو من إبداع وتجديد وتتميز برؤية فنية متطورة إذا ما قيست بالوضع الثقافي الذي كان عليه. فهو لم يكن يأكل (الفلوس)، وإنما كان يأكل الكشرى التي هي وسيلة لجلب الفلوس، فهو لم يقل تأكلوا الكشرى لإثارة الضحك. ويقول في نفس السياق: ".نهشت قلبي"<sup>2</sup>، إذ يشتد خطاب الأنا ليعبر عن أفكاره المزدحمة بالأحداث المأساوية، التي كان هو سببها فاستعمل لفظ ( النهش) للدلالة عن شدة الألم الذي تسببه هذه الحوادث .

وعندما يتحدث عن شخصيته يقول: "شخصين لكل منهما مزاج وهواية وعقيدة وسلوك معين في الحياة، شخصان مختلفان تمام الاختلاف، يتكلمان أحيانا ويتخاصمان أحيانا ولا يتفقان على الاطلاق، أحدهما نال جائزة التمثيل والآخر نال جائزة الدين والاثنان لهما اسم واحد!"<sup>3</sup>. ففي بداية الحديث نطن أنه يتحدث عن شخصان يتعاملان مع بعضهما البعض ويتخاصمان ، فلولا إنهاء كلامه بـ: "الاثنان لهما اسم واحد" لما علمنا أنه يتحدث عن نفسه.

<sup>1</sup> المدونة، ص43.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص52.

ولعل قمة إثبات فعل الشقاوة يتمثل في حديثه: "ورزني علة كدت أموت فيها إلى رحمة الله".<sup>1</sup> فالمتلقي يظن أنه كان سيموت من شدة الضرب الذي أخذه، فهو لا يقصد من قوله — كدت أموت — من العلة، وإنما من الضحك، وذلك عند قوله: "ولكن خلال العلة الرهيبة ظلت أضحك وأضحك حتى كدت أموت من الضحك"<sup>2</sup>

والملاحظ من الحديث السابق أن السعدي لم يقصد منطوق الحديث المثبت فيما سبق، بل قصد عكسه كما وضحه فيما بعد في القول السالف الذكر، الذي يوضح فيه ماذا كان يقصد بقوله (كدت أموت).

إذ يقول: "ومر من أمامنا تلميذ معنا في المدرسة.. وحيانا من بعيد كما يفعل الجنتلان.. واضطررنا إلى أن نطلب واحد شاي للضيف العزيز.. وهكذا وقعنا في المشكلة.. وقد نخرج من المقهى بعاهة مستديمة بسبب الشهامة وإكرام الضيف"<sup>3</sup> المتمعن لهذه العبارة يظن للوهلة الأولى أن السعدي وقع في مشكلة بسبب الشهامة وإكرام الضيف بحق. كما عُرف العرب منذ القدم بهما ، اللتان ما إن ذكرتا إلا واقترن اسم العرب بهما، فهما خطان متوازيان يسيران في نفس الاتجاه، إلا أنه وقع في المشكلة بسبب طمعه ونصبه على الآخرين، فهو يعلم بأنه ليس لديه نقود إلا أنه دعاه للشاي، فهو لم يكن مجبرا لدعوته، فهو وضع في حسابانه أن هذا التلميذ سيدفع النقود

<sup>1</sup> المدونة، ص 61.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 62.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 76 .



فقد كان يحاول تصيده، فإذا ما انقضت حاجته ودفع النقود بدلاً منهم يهرب بعدها، إذ به يخرج دون أن يدفع ويقع السعدني في مشكلة بسبب حيلته.

لقد حاول من خلال التلاعب بالألفاظ الهروب من أشكال التعبير المألوفة، وذلك " ليفجر أحاسيسنا بكل حرية، يحتج عنا، يرفض، يجن هو فنرتاح نحن ونضحك ليأتي ضحكنا بشفتين من الدمع"<sup>1</sup>. وذلك لأن التلاعب بالألفاظ يطرأ فجأة في الوقت الذي يكون المتلقي يتعامل معه بنوع من الجد، فهو يتسلل أفكارنا العادية الجدية .

### 3. السخرية بالمحاكاة:

المحاكاة: "هي المشابهة، وأكثر ما يستعمل لفظ المحاكاة في القبيح، لذا جاء في الحديث: ما سرني أنني حكيت إنساناً وأن لي كذا وكذا، أي فعلت مثل فعله"<sup>2</sup>. فلا يمكن حصر المحاكاة فيما هو قبيح، لا ربما يحاكي الإنسان من هو أفضل منه.

وفي المحاكاة " يقوم الشخص ( الحاكي أو الساخر ) بتقليد الشخص ( المحكي عنه أو المسخور منه) في أسلوبه أو في صوته أو في حركاته، مُدخلاً على فعله هذا نوعاً من النقد الساخر، الذي يدعوا المتلقي إلى الابتسام بجانب دعوته إلى التفكير في تجنب ما يشير إليه هذا النقد"<sup>3</sup>، فمن خلال المحاكاة يستطيع الساخر أن يجسد لنا صورة المسخور منه ، بحيث تبقى راسخة في الذهن ويبتعد المتلقي مثل هذه التصرفات التي تكون موضع السخرية.

<sup>1</sup> سوزان عكاري، السخرية في مسرح أنطوان غندور، ص 169 .

<sup>2</sup> ابن منظور، لسان العرب، مادة ( ح ك ي )، ص 954.

<sup>3</sup> سعيد أحمد غراب، السخرية في الشعر المصري، ص 61.

ويبدو أن السخرية عن طريق المحاكاة أسلوب قديم في تاريخ البشر، لذا يقول بعض الباحثين: "أول صور السخرية وأقدمها في تاريخ البشر، وأكثرها انتشاراً بين العامة هي السخرية "بالمحاكاة"، في الكلام والمشى، والحركات الجسمية، وأنواع السلوك المختلفة؛ أي في السمات البارزة التي تميّز شخصية ما من الشخصيات"<sup>1</sup>. وبهذا ترسم الكتابة مساحة لتضمين الأيديولوجيات عن طريق الشخوص في تفاعلها مع الأحداث التي تحاول فيها محاكاة شخوص أخرى.

ومما ورد عن هذا الأسلوب في "مذكرات الولد الشقي" في قوله: "جاء من نصيبي دور محام ضليع يترافع بالشعر عن متهم مظلوم ثم تتبين المحكمة براءته فتحكم له بالبراءة .. ولا زلت أذكر منظر وكيل النيابة وهو يترافع بصوته المسلوخ مطالباً بعنق المتهم، وقد علق على صدره وشاحاً ورسم بالقلم الفحم على وجهه شنباً وكان يرتدي روب النيابة الفاخر، فلما اندمج في الدور بشدة وراح يشوح بيده يمينا ويسارا مسح فردة من شنبه وبقيت فردة وضج أولياء الأمور بالضحك"<sup>2</sup>.

فلاحظ أن هذا الأديب قد احتك احتكاكا مباشرا بعدد الشخصيات البارزة التي كان لها الأثر في حياته، ومن ذلك شخصية عباس فارس الذي طلب منه أن يقوم بدور المحامي، وأحد أصدقائه بدور وكيل النيابة فيحاكي وكيل النيابة في لباسه وطريقة كلامه، إلا أنه ينسى للحظات نفسه، وهذا ما يجعله يمسح طرف من شنبه، وهذا ما

<sup>1</sup> نقلا عن: المرجع السابق، ص 61.

<sup>2</sup> المدونة، ص 49.

يضحك الجميع بحيث تكون عملية الضحك لا إرادية، فعملية المحاكاة كانت قاصرة لولا هذه النهاية التي غيرت مجرى الأحداث.

لقد حاول أن يتفاعل مع كل حدث، فيحاول دائما أن يكون مع الجميع، إلا أن شقاوته تسبقه، فقد كان يسخر من كل شيء وفي أي وقت ، ويقول: "قدر لي أن أقوم بأول وظيفة لي في الحياة كرجل، كان معنا زميل اسمه حسن..وقيل لنا إن أباه قد مات..وكان علينا أن نتصنع الحزن والوقار، وأن نكبس طرابيشنا على رؤوسنا ونجلس صامتين في الصوان نهز رؤوسنا كلما قرأ المقرئ ..لنظهر أمام زميلنا حسن بمظهر الحزاني على فقد والده العزيز..فاتفجرت ضحكا رغماً عني"<sup>1</sup>، فرغم محاولته لتصنع الحزن، إلا أن هذه الحالة لم تدم طويلا، وينفجر بالضحك وهذا دليل على اللامبالاة.

فكاهة الطباع هي "الفكاهة التي تنبعث من الطباع المكروهة التي يرفضها المجتمع كالعيوب الخلقية والاجتماعية التي تظهر في شخصية الإنسان، وهذه العيوب كثيرة منها الثرثرة والقذارة والتعافل...إلخ، إن هذه الفكاهة تعد من أرقى أنواع الفكاهة لأنها تقوم على تصوير الشخصية الإنسانية ، وما بها من وجوه الضعف الذي يدعو إلى السخرية"<sup>2</sup>. وكيف لا يكون المنظر مضحكا عندما يكون المسخور منه نفسه

<sup>1</sup> المدونة، ص50 - 51.

<sup>2</sup> باسم ناظم سليمان ناصر المولى، سيكولوجية الفكاهة، ص33.

الساخر، فهنا تكون أشد إثارة وأكثر تشويق، فهو يضحك على نفسه قبل أن يضحك الناس عنها.

ولا تقف المحاكاة عند هذا الحد فيقول: " نهشت القصص نهشاً، وقرقش أوراقها قرقشة واستحلبت أحداثها في بهجة.."<sup>1</sup> ، فهو يحاكي جميع الحيوانات في طريقة أكلها والميزة الخاصة بها .

لقد التقط السعدني بعينه الساخرة صوراً من الرواية التي قرأها" رواية أطفال الغابة"، التي كان معجبا بها لحد أنه حاول محاكاة أحداثها يقول: " دخلت الحديقة تخيلت نفسي من أطفال الغابة الجديدة.. صنعت لنفسي كوخا.. واندمجت.. في الدور أقطع الوقت في الحديث مع العم جاكوب.. أبكي وأتشنج بكاء مزيفا ونشيجا مصنوعا على طريقة ممثلي السينما وأظل أدعك عيني حتى تحمر تماما وتصبح في لون الدم"<sup>2</sup>، هذه المحاكاة كانت على مستوى الخيال، فعم جاكوب كان قد مات في الرواية، إلا أنه تخيل نفسه معه في هذه الحديقة، فهو يسخر من نفسه ومن طريقة تفكيره، وذلك من أجل أن يجعل من أدبه الساخر قريب إلى نفوس الجماهير لما له من قدرة على التعبير على أحلامه المسروقة وآماله المضیعة .

فهو في بعض الأحيان يختار شخصيات أخرى تقوم بدور المحاكاة كشخصية (عم رضوان)، الذي طلب منه أن يكون ولي أمره أمام الناظر، إلا أنه كان منظره مضحكا

<sup>1</sup> المدونة، ص54.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص55 - 56 .

لا يدل على أنه ولي أمر تلميذ ، بقوله: " ونظر حضرة الناظر إلى عم رضوان..وقال الناظر بعد عملية استعراض لهيئته استغرقت وقتا طويلا: أنت أبوه..راح يتوسل لحضرة الناظر ويطلب من الله أن يبقيه.. كأنه شحات يتسول على الأبواب، وليس وليا لأمر تلميذ.. وأغرى ضعف عم رضوان حضرة الناظر فشتمه وسبه وأهانته إهانة بالغة.<sup>1</sup> فهو ينقل لنا كل همومه التي اخترقت عظامه ، وكل المغامرات التي خاضها في مدرسته، ففي عملية محاكاته لشخصية والده بالغ لدرجة أنه لم يصدقه الناظر واكتشف أمره بأنه لم يكن والده بل شخص آخر .

يقول: " وحاترتنا في الشتاء تتحول إلى بركة، وفي هذه البركة كنت أغمس سنارتي طول النهار كأني أصطاد، وكنت أشد السنارة أحيانا وأقوم بنفس حركات الصيد وهو يتناول السمكة، وكنت أحيانا أشعل ناراً في حزمة ورق وأشوي عليها سمكا وهميا، ثم أجلس بعد ذلك ألتهم السمك الذي لم يكن له وجود قط .. كأني صياد حقيقي غلبان يعيش على شاطئ النهر."<sup>2</sup>

لقد أورد الكاتب هذه القصة البسيطة ليعرض سخريته من أحلامه، في ظل أوضاع شاذة وذلك بمحاكاته لما يقوم به الصياد. فما نلاحظه أن الهروب صوب المحاكاة لم يحل المشكلة بل عمق الشعور باليأس، وذلك بمجرد انتهائه من الحكى يستفيق على حلم كاذب.

<sup>1</sup> المدونة، ص61.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 63.

فالباعث من السخرية هو الرغبة في التعبير عن النفس، ومناقشتها في نفس الضوء الذي تسطع فيه الفكاهة الساخرة وجوها العام<sup>1</sup>. وتحاول أن تكمل النقص في ما لم يكتمل، ويمتزج فيها اليأس بالرجاء والواقع بالخيال، تنفذ إلى الأشياء لإظهار النقص قصد استكمالها.

#### 4. السخرية عن طريق الصوت والحركة:

السخرية عن طريق تلوين الصوت، وتنويع الحركات، لون قديم من ألوان السخرية. فهي "تقوم على نحو الرفع والخفض، أو إعطائه نبرات خاصة معروفة يفهمها السامع غالبًا ويعرف صفتها ومغزاها الذي يمكن أن ينقله القلم إلى الورق"<sup>2</sup>. فالرفع دليلًا على الغضب والرؤية المتعالية للأشياء، والخفض ربما دليل على الاحتقار أو التهميش.

كما تتحقق السخرية عن طريق الحركات "بتحريك عضلات الوجه، أو بهز الرأس أو الكتفين، أو بالغمز بالعين أو بالإشارة باليدين معًا في وجه إنسان ما برفعها وخفضهما سخرية من حماقة ارتكبتها أو جرم وقع فيه"<sup>3</sup>. وبهذا نستطيع القول أن السخرية فن ملم بجميع أساليب فن القول فهي لا تقف عند حدود الكلمة، يمكن التعبير عنها بواسطة حركات مختلفة.

<sup>1</sup> ينظر حامد عبده الهوال، السخرية في أدب المازني، ص 21.

<sup>2</sup> سعيد أحمد غراب، السخرية في الشعر المصري، ص 63 .

<sup>3</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فنبرة الصوت ماهي إلا دليل عن غضب أو فرح، ومن ذلك قوله عن الشيخ محمد الذي كان يتصدى للمشاكل التي يقوم بها السعدني داخل القسم يقول: "أمسك أنفه وصاح صيحة مروعة وكأنه طارق بن زياد"<sup>1</sup> ويالها من صورة ساخرة من هذا الشيخ المعبرة عن شدة غضبه، والتي يخيل لنا أنه من بعدها سوف تحدث كارثة لسعدني عقاباً لما فعل.

فتبلغ الصورة الساخرة ذروتها عندما يحاول أن ينتقم من الشيخ؛ لأنه عاقبه لقيامه ببعض الأعمال الصبيانية: "أنتظره وهو خارج لأقذفه بطوبة أو أدفعه ليقع في الطين وذات مساء وكان البرد شديداً.. جئته من خلفه وأغرقتة بجردل ماء بارد، فانتفض الرجل صارخاً وهم بالجري فتعثر وسقط..."<sup>2</sup> إنها صورة هزلية لا يسعنا إلا أن نضحك حين نتصورها في أذهاننا، بالرغم من التحسر على هذا الشيخ وما آل إليه بمجرد أنه كان مدرسا لهذا الصبي الأرعن.

لقد كانت هوايته المفضلة هي قذف المارة بالطوب: "ذات صباح مر في الشارع رجل.. قذفته بطوبة بطحت رأسه، وكان منظره يدعو إلى الضحك"<sup>3</sup>. ومن خلال استعراضه ومباهاته بتصرفاته القبيحة، وذكره الوسيلة التي كان يهاجم بها الناس نستنتج أنه داء ليس له دواء لمن حوله. ولهذا فالسخرية "محاولة لطيفة مهذبة الغرض منها تطهير الحياة والمجتمع من الظواهر السلبية التي تجانب التطور وتناهض الحركة

<sup>1</sup> المدونة، ص 12.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 13.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 15.

نحو المستقبل، فإذا ما وقعت على إحدى هذه الظواهر كالبلادة أو الخمول أو كل ما يهدد الحياة بالتوقف أو البطء<sup>1</sup> تلوح بها إلى عوالم رحبة لتحاول القضاء عليها.

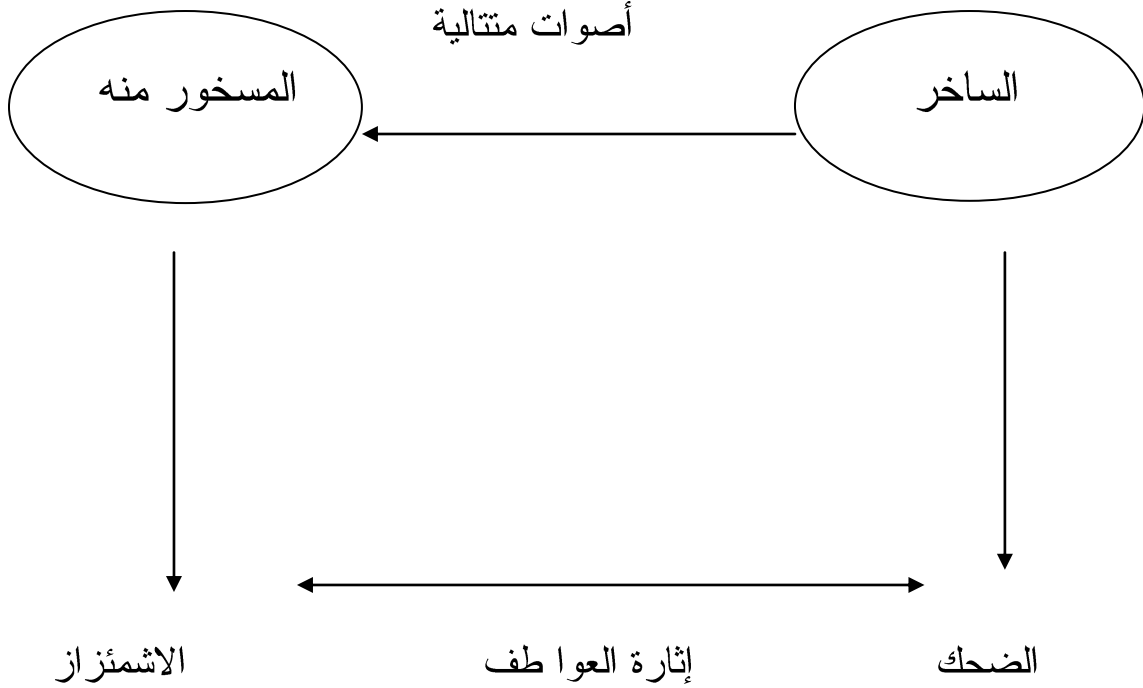
ويسعى في بعض الأحيان إلى إطلاق أحكام سلبية على حدث إيجابي والسخرية منه بأصوات وحركات، فكثيرة هي هذه المواقف، ومن ذلك قوله: " كانت مدرسة محمد علي تنافسنا في الكورة، فلما رأيناها على الرصيف طاف في خاطرنا أنها جاءت تنافسنا في الجنازة...تعالت هتافاتنا يا محنى ديل العصفورة، والجزيرة هي المنصورة، ويا سالمة يا سالمة رحنا وجينا بالسلامة"<sup>2</sup>. ومثلما عبث بوقار هذه الجنازة، فقد اتبعه أيضا زملاؤه وجعلوا من هذا المقام المحزن إلى مقاما للضحك والهزل والسخرية، إن هذه الشخصيات الساذجة التي تسوق الأحداث، هي التي تجعلنا نضحك من خلال هذه الأصوات والهتافات .

ونستطيع تمثيل أثر الأصوات في العملية التواصلية بالخطاطة الآتية:

<sup>1</sup> حامد عبده الهوال، السخرية في أدب المازني، ص65.

<sup>2</sup> المدونة، ص 24.





## خطاطة رقم (2)

### رسم توضيحي لأثر الأصوات في العملية التواصلية الساخرة

فهذه الأصوات التي يقوم بها الساحر تثير اشمئزاز المسخور منه. في حين نجد أن الساحر يعتمد على الشعور بالتسلية والضحك، فالضحك والاشمئزاز يبنيان على إثارة العواطف.

ويقول: "أطلقت صيحة حرب عالمية فهمها غزالي .. أطلقت صرخة رعب شديدة وبدأت أعوي .. صياحي للجو وصوتي طالع لرب السما"<sup>1</sup>، ولا تزال الصرخات ترتفع الواحدة تلو الأخرى ويرتفع معها الضحك.

<sup>1</sup> المدونة، ص 40 .

تختلف الحركات الساخرة من موضع لآخر يقول: "أستطيع أن أغزل خمسة خصوم في لحظة وبحركات بهلوانية مضحكة تغيظ الخصم فتربكه"<sup>1</sup>، لقد بدا السعدني أشد ذكاء في استخدامه لمثل هذه الحركات الساخرة التي تثير غضب الخصم ، وجعلها سلاحًا للفوز وفي نفس الوقت إثارة جو من الفكاهة والمرح . ومنه ليس الغرض منها الإضحاك والضحك فقط بل حتى تحقيق مصالح خاصة.

وربما يقوم ببعض الحركات المضحكة عقابا لما يفعله" أرفع يدي وأركع على ركبتي كأني قرد يصنع عجيب الفلاحة."<sup>2</sup> ويلحظ القارئ هنا في سخريه الكاتب من ذاته التي طالما تواجدت بين صفحات هذه المذكرات، فهو كان في كل مرة ينال عقابه جراء شقاوته، وفي هذه المرة كان العقاب هو رفع اليدين والركوع على الركبتين. وإذا تكاثرت الهموم على قلب الإنسان من جراء معاشته لما في الحياة من متناقضات بث أشجانه في موال، ودعا نفسه ألا تبوح بهمها، لأنه ليس هناك جدوى من وراء ذلك<sup>3</sup>. إلا أن الكلمات تبوح بدون قصد وذلك من جراء الشعور بمرارة الواقع يقول<sup>4</sup>:

أنا أصلي مش بطل لكن الأهل تعبوني..

في الوش حلوين ومن ورا ظهري تعيبوني..

<sup>1</sup> المدونة، ص 45.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 48.

<sup>3</sup> ينظر نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب، القاهرة، ط3، دت، ص 248 .

<sup>4</sup> المدونة، ص 80.

أنا قلت أسيب الوطن للكل، وعملت جسمي معدية لدوس الكل

جيت أريح الكل لقيت الكل تعبوني!

ولا شك أن هذا الكم من السخرية، يفتح دلالات العبث في النص، وخاصة عندما تكون بالصوت فقد كان يغني كل ليلة هذا الموالم ساخرًا من الواقع، ومما لا شك فيه أن هذه السخرية لا تخلو من دعاية وضحك، الأمر الذي يتفق وروح المرح التي يحاول أن يبثها لأنه كان يحاول أن ينسى همومه التي طرأت عليه طول النهار .  
ويقول في موضع آخر: " تمشيت أفرنجي.. فغمزت لغزالي"<sup>1</sup> . كلها حركات مضحكة يريد من خلالها تغيير الجو وتلطيفه.

#### 5. السخرية عن طريق القلب والعكس:

عندما تجري الأمور في مسارها الطبيعي، وفي إطارها المألوف، فإننا لا نجد مبررًا للضحك، لكن الأوضاع إذا انقلبت، وأصبحت تصدر بصورة مقلوبة أو معكوسة فإن ذلك يدفعنا إلى الضحك دفعًا<sup>2</sup>؛ فالمواقف النمطية لا تثير فينا أي ردة فعل، ولكن إذا وجدنا عكس ذلك نندفع إلى الهزل والمتعة.

فالقلب أو العكس هو " أن يقلب المتكلم جوابا أو سؤالاً لسائل، أو يأتي بعكس ما كان ينتظره أن يأتي به، أو بكلام مفاجئ غير موقع، أو يقلب فكرة أو قصيدة ليسخر من صاحبها، أو ليحولها إلى غرض فكاهي يسخر فيه من العيوب السائدة في

<sup>1</sup> المدونة، ص 77.

<sup>2</sup> ينظر سعيد أحمد غراب، السخرية في الشعر المصري، ص 66.

المجتمع".<sup>1</sup> فالمتكلم يأتي بكلام غير متوقع بهدف السخرية من عادات مذمومة في المجتمع، وبهذا يقدم النقائص في قالباً فني إبداعى متميز.

أو هو باختصار: "مجابهة الشخص بعكس ما يتوقع"<sup>2</sup>. فالسخرية تحاول أن تمتد إلى ما لم يكن في الحسبان لكي تثير الضحك، وتسير الأحداث عكس ما كان مخطط له.

وعلى سبيل المثال، حديثه عن والدته التي كانت تسرد أحداثاً لا أساس لها من الصحة، وبالرغم من ذلك يصغون إليها دون انقطاع يبدون لها بأنهم يصدقون ما تقول إلا أنه يقاطعها زوجها ويواجهها بعكس ما تتوقع، يخالف المعتاد: "يقرأ لها الحوادث التي وقعت.. وأنباء الوفيات، وكان كلما نطق باسم ميت تقاطعه بشكل حاسم، وتحكي قصة مختلفة عن هذا الميت وأسرته.. وهي قصة مختلفة طبعاً لا علاقة لها بالميت وكان أبي يدرك ذلك جيداً ولكنه كان يسمع إليها بشغف، وكانت تبدو في أسعد لحظات حياتها.. هتف أبي باسم ميت فقالت على الفور.. آه، دام المنوفية، من عيلة أبو مرزوق الي مناسبين جماعة أبو الغيط.. اللي.. ورد عليها دا مش م المنوفية.. بس الراجل من فلسطين.. وسكتت أمي ولم تتكلم."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> حامد عبده الهوال، السخرية في أدب المازني، ص 46.

<sup>2</sup> سعيد أحمد غراب، السخرية في الشعر المصري، ص 67.

<sup>3</sup> المدونة، ص 20.

والمدقق في الحديث لا شك أنه يلاحظ هناك اختلاف بين القصتين القصة التي ترويه الأم والقصة الحقيقية . وعنصر القلب للأحدث هو الذي حقق السخرية فمواجهتها بالحقيقة التي تعلمها ولا تريد سماعها هو الذي خلق السخرية.

ويقول: " أعرب جاء محمد يا ولد.. وأعربت على الفور محمد فاعل منصوب بالفتحة وجاء مفعول به مكسور على الضمة"<sup>1</sup> ، ففي عملية القلب والعكس هذه ليس سخرية فقط بل إهانة وجهها لسبويه، وذلك بتعبيره اللغوي غير السليم.

وما يزيد من شدة السخرية هو عند إعلانه نبأ وفاة الزمراني، الذي لا أساس له من الصحة: " فأعلنت ذات صباح أنه قد مات! ولكنه لم يلبث أن ظهر من جديد أكثر شبابا عما كان"<sup>2</sup> لا يستطع المتلقي أن يمنع نفسه عن الضحك فكيف لميت أن يحيا بعد موته ! فهو تلاعب بكل شيء ، فلم يترك شيء وإلا جعل منه أضحوكة.

كما يقول في مغامرة أخرى من مغامراته: " خد يا واد ما تخافش.. توقعت أنه يريدني للفسحة، ذهبت إليه لأنني كنت مذعورًا للغاية، فلما ناداني تقدمت نحوه على الفور.. لكنه كان يريدني للضرب"<sup>3</sup> ، فهو لم يكن يعلم بأنها فسحة في الضرب، فهذه الأحداث تعود به إلى مراحل الطفولة البريئة التي كان اللهو واللاواقعية والشغب سرها.

<sup>1</sup> المدونة، ص 36.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 38.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 43.

يتابع السعدني تناوله القضايا المختلفة معتمداً على عنصر القلب، ومنه قلب الحدث وفي ذلك يقول: "شفطت القهوة على كره مني، فقد كانت شايطة وسادة.. وكان اعتقادي أن شرب القهوة هو مظهر الحزن الوحيد في هذا المجال. ولذلك ساعني موقف عبد المنعم جداً، فملت على أذنه وأنبته لعدم قبوله أقذاح القهوة، وعلى الأقل لنظهر أمام زميلنا حسن بمظهر الحزاني على فقد والده العزيز! وهمس عبد المنعم ..دا شرب القهوة في الميتم عيب .. وألقيت نظرة على كل الناس فلم أجد أحد منهم يشرب.. فانفجرت ضاحكا"<sup>1</sup>. وبهذا ربما نستطيع أن نقول أن السخرية تعتمد أثناء التعبير، على عنصر المفاجأة وعدم التوقع، بحيث تسير الأحداث في خط واحد، وبعد ذلك تتغير إلى عكس ما هو متعارف عليه والمألوف عند العامة من الناس.

وعندما يواصل الحديث عن هذه الحادثة بقوله: "امتدت الأيدي نحوي تضربني كانت ضحكاتي تفرقع في الصوان"<sup>2</sup>. نعتقد أن هذا الضحك مصطنعاً، وقد يكون لا يحس بشدة ألم الضرب الذي ينهال على جسده .

فالضحك عند ديكارت (Descartes) ليس تعبيراً عن خبث دفين، بل هو على العكس من ذلك تعبير صريح عن موقف جريء دون تحايل أو نفاق، فهو لا يبطن غير

<sup>1</sup> المدونة، ص 51 .

<sup>2</sup> المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ما يصرح به"<sup>1</sup>. وقد يكون هذا الضحك وسيلة لإحداث انفعال في نفس المتلقي وتغيير الجو.

فبالرغم من شقاوته وهروبه الدائم من المدرسة، إلا أنه نجح في آخر المطاف ولكن عندما كان يتوقع من الجميع مكافأته حدث ما لم يتوقعه: "وفي هذا العام نجحنا بدلا من أن يكافني الشيخ مرسي مدرس العربي.. ضربني علقة ساخنة"<sup>2</sup>، وذلك لأن شقاوته راسخة في أذهان الجميع وأصبح لا يعرف غيرها .

ورد قلب المعنى في قوله: " عارفين أنا بشتغل بواب ليه؟ مش عشان محتاج يعني ولا حاجة، أنا بس باستخبا من واحدة ست حبشية عاوزة تسحرني.. ولكن صورة الست الحبشية التي تطارد أبومركب لم تكن تبارح خيالي على الإطلاق، وكنت أتخيلها امرأة كالغولة، شديدة السواد، عيناها شديدا الاحمرار، لها مخالب ولها أسنان"<sup>3</sup>، عند قراءتنا لهذه العبارة نتساءل عن طبيعة هذه (الست)، لكن في حقيقة الأمر ما هي إلا امرأة تشبه جميع النساء، ولكن استخدامه كلمة حبشية جعلها ذات بشرة سوداء غيرت صورة هذه المرأة في نظر السعدني، إلا أنها لم تكن كذلك على العكس من ذلك فقد كانت فائقة الجمال وكان يشتغل بواب لرؤيتها كل يوم كانت قد

<sup>1</sup> نقلا عن: عبد الله الكدالي، الهزل والسخرية من منظور فلسفات الأخلاق، المركز الثقافي للكتاب، المغرب، ط1

2018، ص 145. نقلا عن: ديكارت.

<sup>2</sup> المدونة، ص 70 .

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 87 .

سحرته بجمالها فقد كانت : "إمرأة طويلة عريضة لها شعر مسبب كعروس البحر،  
بيضاء كالقشطة.." <sup>1</sup>

بعد الذي تقدم ذكره من وصف لهذه المرأة، يعتمد السعدني إلى إثارة الضحك  
وخاصة عند المعرفة بحقيقة جمالها. فماهو متعارف عليه أن السخرية تقف عند  
النقائص ولكن في هذا المثال قام بتقديم جمالها بأسلوب ساخر بالاستناد إلى عنصر  
القلب.

يقول عن أول مقال كتبه " وفي الصباح كنت أحمل نسخة الجريدة مزهوا وأركب  
الترام منفوخا وأنظر للجميع في استعلاء..فقد استقر في خاطري أن مصر كلها  
تعرفني.. وعندما انتصف النهار انبطيت على وكستي الثقيلة.. فقد اكتشفت أن مقالي  
لم يقرأه أحد .. واكتشفت أنني شخصيا أكثر انتشارا منها" <sup>2</sup>. وبهذا يخلص السعدني  
في هذه الرسالة الفكاهية إلى أنه على الإنسان ألا يتسرع في الحكم على أي شيء مهما  
كان، دون التأكد من أنه قد وقع، بالإضافة إلى عدم التعالي على الآخرين مهما بلغ من  
الدرجات في العلم.

## 6. المناداة بالألقاب:

أسلوب قديم من أساليب السخرية، ولعله من أقدم الصور السهلة الساذجة في  
السخرية، وتستعمل فيها أسماء الحيوانات كألقاب، كقولهم للسمين " يا درفيل"، ثم

<sup>1</sup> المدونة، ص 87 .

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 181.



استعمال هذا اللقب فيما بعد اسما يطلق على هذه الشخصية، وتعرف به<sup>1</sup>. ويصبح ذلك الشخص يعرف بذلك اللقب في بعض الأحيان ننسى حتى اسمه الحقيقي.

ويشمل أيضا استعمال " الصفات المعكوسة، وهي عكس ما يتصف به الشخص حقيقة كألقاب ثم أسماء تتكرر كثيرا في صور متنوعة، ومناسبات مختلفة، حتى يلصق هذا الاسم بهذه الشخصية"<sup>2</sup>. إلا أنه عادة سيئة ؛ لأنه في بعض الأحيان يكنى الشخص بلقب قبيح ويصير يعرف به إلى مماته.

ومنه ما جاء في مذكرات السعدني فقد ألصق لقب ( كرنك) بسعد زغلول، بحيث أصبح يعرف به. وقد ذكر اسمه الحقيقي في موضع واحد فقط، وسبب هذه التسمية أنه كان لعبد الوهاب أغنية اسمها الكرنك، وكان سعد شغوبا بها يحب سماعها، ولكنه كان ينطقها كرنك بفتح الراء بدل تسكينها ويقول: " فأطلقت أنا عليه هذا اللقب وأصبح شهيراً به حتى أصبح رجلا، بل أصبح علما عليه حتى مات منتحرا"<sup>3</sup>

وليست هذه الشخصية الفريدة التي فقدت كنيته، بل حتى المرأة التي كانت تسكن خلف بيته، فهو لا يقدم لنا اسمها وإنما يعرضها لنا بالاسم الذي أطلقته والدته عليها بقوله: " كانت أم صفيح وأبناؤها يسطون دوما على عشة فراخ أمي وعلى غسيلها المنشور فأطلقت أمي على المرأة الغلبانة هذا الاسم.. أم صفيح ! وأغرب من ذلك أن

<sup>1</sup> ينظر سعيد أحمد غراب، السخرية في الشعر المصري، ص 62.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 63.

<sup>3</sup> المدونة، ص 78.

المرأة المسكينة اشتهرت به حتى أصبح علما عليها<sup>1</sup>. وذلك لأنها كانت تسكن في بيتا من صفيح .

وتتجلى السخرية أيضا في شخصية محمود، الذي يلقبه بالحكيم، وذلك لأنه كان أكثرهم فطنة وذكاء في النصب على الآخرين، ولأنه هو من كشف حقيقة عبده وفضحه بأنه كان ينصب عليهم " ولكن الحكيم سب الدين والدنيا"<sup>2</sup>.

وما يلفت انتباهنا أيضا شخصية الشيخ محمد الذي لقبه أهل القرية بالجمال؛ لأنه حمل جملا على كف يده ذات يوم من عام 1915، ومنذ هذا التاريخ وهو يعرف بهذا اللقب، وحتى وإن ناداه أي شخص باسمه لا يستجيب لندائه.

## خـلاصة

من خلال دراستنا السابقة لهذا الفصل نستشف أهم النتائج التي توصلنا إليها وهي

كالآتي:

السخرية في "مذكرات الولد الشقي" تبرز مدى قدرة السعدني على التقاط عناصر

الفكاهة في الأشخاص والمواقف، واستغلال كل عنصر لإضحاكنا مع مناسبته للمقام

بحيث يجعل القارئ لا يكف عن عملية القراءة.

<sup>1</sup> المدونة، ص 14.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 103.

أخذ التصوير الكاريكاتوري حظه أكثر من غيره من الأساليب، فتوالت اللوحات الكاريكاتورية الساخرة، التي يتخذ منها أسلوبًا لإبراز ما تفتقده الشخصيات من جمال فهو يتصيد العيوب ويقوم بعرضها .

امتلك "السعدني" لغة ساخرة تميزه عن غيره، يعتمد خلالها إلى اللعب بالألفاظ وإخراجها من وسطها واستعمالها في وسط آخر. كما تلعب المحاكاة الساخرة على وترين، وتر الواقع و الوتر المتخيل الذي يحول الواقع إلى متخيل.

تقوم السخرية بقلب وعكس الحوادث، ومناداة الأشخاص بأسماء مثيرة للضحك مرتبطة بحدث معين، بالإضافة إلى أن تغيير نبرة الصوت وحركات الوجه هي الأخرى من الأساليب التي تعبر عن السخرية.

# الفصل الثاني

السخرية في المستويين: الطباعي

والحكائي

# الفصل الثاني

## السخرية في المستويين: الطباعي والحكائي.

### 1. المستوى الطباعي.

1.1 الغلاف.

2.1 المقدمة.

3.1 الصور المصاحبة.

### 2. المستوى الحكائي.

#### 1.2 الشخصيات:

1.1.2 الشخصيات الرئيسية.

2.1.2 الشخصيات الثانوية.

#### 2.2 الحوار:

1.2.2 الحوار الخارجي.

2.2.2 الحوار الداخلي.

#### 3.2 اللغة.

## 1. مستوى الطباعة

لقد سعى المبدعون إلى استغلال كل الوسائل والطرائق المتوفرة لديهم لخدمة النص بعامة، والنصوص الموازية له بصفة خاصة. فغدا النص الموازي من الأمور الهامة، التي تثير جدل العديد منهم، وذلك لما له من أهمية على الأديب وعلى إنتاجه وعلى الأدب. وبهذا أصبحت الدراسة ليست مقتصرة على النص فقط، وإنما بكل ما يجاوره من كلمات ومفردات وصور وألوان، التي يعمد إليها المبدع لأسباب خاصة، تكون عن تدبر لأنها أول ما يواجه المتلقي قبل ولوجه العمل الإبداعي، إذ يساعده على معرفة طبيعته وخصوصيته، فهي عبارة عن نص مصغر مشفر يكون في واجهة الكتاب أو في ظهره والقارئ مهمته فك شفراته.

النص الموازي ( Paratext ) هو الذي يمنح النص الأساس هويته واختلافه وفق ما يشير إليه الناقد جيرار جينيت Gérard Genette، إذ يرى أن الموازيات النصية " تسيج النص، وبتعبير أكثر دقة تعمل على تقديمه"<sup>1</sup>، فهي بذلك تجعل النص الأساس منفتحاً أمام القارئ وتسهل له الطريق، كما تجتمع لتقويته وتُفسر معانيه ودلالاته وتعززها .

لكنه على الرغم من طبيعة الدور الاستثنائي الذي تلعبه العتبات النصية في الممارسة القرائية، إلا إن " دور هذه العتبات لا يمكن أن يكون بديلاً تاماً عن دور اللقاء الفعلي بين

<sup>1</sup> Gerard Genette ; Introduction to the Paratext , trans; Marie Maclean, New literary History, vol 22, no, 2, spring 1991, P261. ترجمة ذاتية

القراءة والنصوص نفسها"<sup>1</sup>، وفي الوقت نفسه لا يمكن تجاهلها؛ لأنها تمنح النص زخرفاً فهي ليست هامشية، بل على العكس من ذلك أصبحت مركزية وتتنوعت الدراسات فيها.

## 1.1 الغلاف.

الغلاف من أهم عناصر النص الموازي؛ لأنه يحوي عدداً هائلاً من بيانات الكتاب ويجمعها في الواجهة بطريقة قصدية، فهو يتخير اللون المناسب المعبر، وكيفية رسم الحروف وموضع كل عنصر حسب ما يراه ملائماً. فالغلاف كما يرى حسن نجمي: "هوية بصرية ينبغي أن نتقبلها كإحدى هويات النص (...)", وبالتالي يضع سمات للنص وعلاماته وهويته"<sup>2</sup>. ولهذا يشترط في الغلاف أن يكون مثيراً؛ وبالتالي يمنح النص مقروئية فبه تتشكل في أذهاننا صورة أولية عن الموضوع، والتي تتضح شيئاً فشيئاً بعد الغوص في غمار النص.

فالغلاف إذا هو "أول ما نقف عليه، الشيء الذي يلفت انتباهنا، إنه العتبة الأولى من عتبات النص، تدخلنا إشارته إلى اكتشاف علاقات النص بغيره من النصوص"<sup>3</sup>، ولهذا فهو عتبة هامة لما تحويه من اسم المبدع والعنوان الذي اختاره لعمله، وبيانات النشر ومنه يصبح لدينا الفضول للولوج إلى أغوار النص و استكناه مضمونه وجوهره؛ لأنه

<sup>1</sup> محمد صابر عبيد، سيمياء النص الموازي التنازع التأويلي في عتبة العنوان، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2016، ص9.

<sup>2</sup> حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2000، ص22.

<sup>3</sup> حسن محمد حماد، تداخل النصوص في الرواية العربية دراسات عربية، مطابع الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، د ط دت، ص 148.

بطاقة تعريف لهذا العمل، وليس هذا فحسب بل يحميه من التلف؛ أي شيء يمس الغلاف قبل أن يمس الكتاب .

هذا، وإن للغلاف الخارجي للعمل الأدبي والفني عادة واجهتين: أمامية وخلفية فنستحضر في الغلاف الأمامي اسم المبدع، والعنوان الخارجي .. والرسوم. أما في ما يخص الغلاف الخلفي، فنلقى الصورة الفوتوغرافية للمبدع، ومقاطع من النص للاستشهاد أو شهادات إبداعية أو نقدية، أو كلمات الناشر<sup>1</sup>. إلا أنه في بعض الأحيان نجد الواجهة الخلفية تخلو من أي معلومة خاصة بالمبدع أو بدار النشر، وبهذا يكون النظر موجه صوب الواجهة الأمامية.

ففي الغلاف نجد العنوان الذي " يصف العمل الأدبي، ويعكسه جزئياً أو كلياً، وقد لا يعكسه بطريقة مباشرة، إذا كان العنوان يحمل أبعاداً رمزية، ويتضمن شحنات انزياحية ثرية"<sup>2</sup>. ليست كل العناوين تحمل سمة موضوعها، فهناك عناوين مغرية تخدع المتلقي إذ به يتفاجأ بمتن مخالف لما هو في العنوان، عناوين براقعة تعمل على جلب القراء، في حين ينقص بريقها لمجرد عملية القراء لتضارب الموجود بين المتن والعنوان.

ومع ذلك يعد العنوان من أهم العتبات المهمة في دراسة النص الأدبي الفني، فهو المحور الدلالي الذي يدور حوله مضمون النص، وتبنى عليه دلالاته السطحية والعميقة<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ينظر جريس مخول، العتبات النصية والنص الموازي الكتاب لأدونيس نموذجاً، ماجستير، جامعة حيفا، كلية العلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، 2009، ص 23- 24.

<sup>2</sup> جميل حمداوي، سيميوطيقا العنوان، اللوحة مصدق الحبيب، المغرب، ط 1، 2015، ص 51.

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 6.



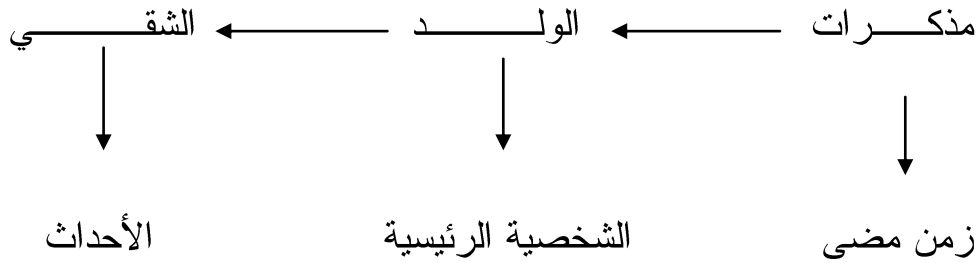
السطحية التي تتشكل بمجرد قراءة العنوان، والعميقة التي تكون بعد قراءة النص قراءة معمّنة فاحصة مدققة لكل دال من دواله.

إن غلاف " مذكرات الولد الشقي " لمحمود السعدني يمثل مفتاحاً لبوابة النص لفهم محتواه العام واستنتاج خباياه، إنه فضاء واسع تتمظهر فيه العديد من الدوال التي تحيل إلى مضمون النص بدءاً من صيغة العنوان. (فمذكرات) هي صيغة جمع لكلمة (مذكّرة) فقد تراكمت الأزمنة وتزاحمت الأمكنة وتداخلت الأحداث في ذاكرته وشكلت هذه الذكريات، التي حاول أن يعيدها لنا بعد زمن طويل من مرورها، فهو بذلك يحاول استرجاعها ومن ثم إعادة البناء. ويحصر مرحلة التذكر في مرحلة فترة الطفولة من خلال كلمة (الولد)، بمعنى أنه يريد التحدث عن هذه المرحلة دون غيرها، والتي كان شعارها الشقاوة (الشقي) ويخيل إلينا أن هذه الشخصية وظيفتها الأساس الشقاوة، فهي بؤرة الحدث وهذه الصيغ في حد ذاتها جزء من البناء العام لملاح هذه الشخصية.

يحتل العنوان الصدارة على غلاف المدونة، الذي هو نتاج حصيلة العمل الإبداعي ونتاج ما جادت به قريحة كاتبه، بحيث ظهر في أعلى الغلاف بخط سميك وبلون أسود ليلفت انتباه القارئ، ويترأس الغلاف من ناحية وعملية القراءة من ناحية أخرى. فصورة الكتابة على الطربوش وبالخصوص كلمة الشقي توحى إلى عديد الدلالات، ولا شك أن مركز النقل وحركة الشقاوة كانت في المدرسة؛ لأن المرحلة الدراسية حافلة بالأحداث داخل القسم وخارجه، وتكون المدرسة هي المركز المهيمن، بحيث تأخذ أكبر عدد من

صفحاتها، فهي تأخذ مساحة حكائية واسعة مرتبطة بالذات والشخصيات المصاحبة لها ( مساعدة أو معيقة).

فقد أراد التعبير عن الفكرة المراد إرسالها من خلال تموضع هذه الكلمة، ونعتقد بأن هذه الشخصية تحتل المرتبة الأولى في الشقاوة؛ ولهذا كتبت على الطربوش، فقد توج بتاج "الشقاوة". كما يمكن أن تفتح هذه الكلمة احتمالية أن ذهنه كان منشغلا بإحداث الشغب وانفعاله مشحون به. يتركب العنوان من ثلاث وحدات معجمية:



### خطاظة رقم (3)

#### رسم توضيحي لدوال العنوان

فلاحظ من خلال العنوان احتواءه على تقنيات السرد (الزمن، الشخصية، الحدث) فيتراعى للمتلقي عند قراءته العنوان بأن المتن عرض سردي؛ وذلك بتضافر وتكاثف هذه الدوال التي شكلت لنا العنوان.

إن هذه الافتتاحية يمكن ربطها باسم المؤلف الذي جاء تحت العنوان وموازيا له على الجهة اليمنى، فهو يعادل كلمة مذكرات كتب بخط أقل سمكا وحجما وبلون أسود، الذي هو في العادة دليل على الحزن، وكأنه يريد التعريف بنفسه من خلال العنوان، وليس عن طريق اسمه، إلا أنه يستوقف القارئ وذلك بمحاولة ربطه بالنص؛ لأن السعدني معروف

بأعماله الأدبية التي تغوص في الأدب الساخر، وهذا يحيلنا بأن النص قد يندرج ضمن هذا النوع من الأدب .

كما عمد إلى رسم تجسيدي، كانت الغاية منه ترجمة العنوان وتوضيح فكرته العامة، ولهذا ارتأينا الوقوف عنده باعتباره دليل بصريا كاشف لما هو موجود في النص. ويهدف تقديم الشخصية بتلك الطريقة إلى إظهار ملامح الشقاوة المرتبطة بالعنوان، والمضمون العام فينتقل من القول السردي المؤلف إلى الرسم التجسيدي الناطق بمحتواه، وهكذا تحكم الصورة على النص بالعيش؛ لأنها هي أول ما يظهر للمتلقي وآخر ما يبقى راسخا في ذهنه ، تعبر عن الحكاية التي تتخلل ثنايا النص.

فالصورة تبدو قديمة تحاكي صورة ولد بملامح شخص كبير يرتدي طربوش الأمر الذي يوحي بأنه تلميذ في المدرسة، إلا أن ملامح الشقاوة والتشرد بادية على وجهه، من خلال شعره المجعد والمتطاير، فقد كان ذا عنق طويل؛ لأنه كان يدخل نفسه فيما لا يعنيه بالإضافة إلى البنية النحيفة وتعرية جزء من بطنه الذي نعتقد سببه الجوع والمعاناة. يبتسم ابتسامة خفيفة تحمل العديد من الدلالات مثقلة بالعديد من الأسرار والذكريات التي يصرح بها في متن العمل الإبداعي .

وتتخذ الأيقونة مظهرات عدة، من أبرزها على سبيل التمثيل لا الحصر أن توظف في صفحة الغلاف الأولى، فتتوزع في فضاء محدود منه، وهو مثال شائع ومتواتر في

أغلب الكتب<sup>1</sup>، وهذا ما نلمسه في غلاف هذه المدونة فالصلة التي تجمع هذا الرسم التجسدي بالعنوان العام صلة وثيقة، فهذه الصورة سيطرت على الغلاف، فهي تتوسطه إذ أن هذا الشخص المجسد يضع يده على فخذة الذي تورم ربما لشدة الضرب، أو لألم مرض معين، ولكن العنوان يجعلنا نأرجح الاحتمال الأول؛ لأن الشقي دائما يضع نفسه في مأزق وجسده هو الذي يواجه هذه الصدمات من الضرب.

ليس هذا فحسب فعندما نعمن النظر جيدا إلى ثيابه، نجد أنها بالية تحيل إلى شخص فقير، وليس هذا فقط بل يرتديها بطريقة مثيرة للضحك. إن أهمية صورة الغلاف تكمن في إنارة سبيل قراءة المتن وتأويله، فهي " إحدى العلامات الساخرة التي يوفرها النصّ الموازي لقارئه بغية توضيح عقد القراءة وتحفيز القارئ للنظر في المتن الروائي نظرا مُتنبِّها لمخاتلات الخطاب الساخر"<sup>2</sup>. والكاتب لم يكن عفويا في اختياره هذه الأيقونة فقد كان ذلك عن قصد وتدبر؛ لأنه يريد إيلاغ رسالة معينة إلى المتلقي وذلك من أجل أن تتضافر مع المحتوى في إيصالها. ونخلص من ذلك أنه يريد أن يسخر من هذه الشخصية التي قام بتجسيدها وذلك من خلال تحميلها هذه الصفات .

فننتقل من خلال هذه الهندسة المعمارية إلى دار النشر التي جاءت في نهاية الصفحة المتمثلة في "دار القلم" المصحوبة بشعار الذي هو حصيلة الإبداع، ويثير المتلقي لبروزه

<sup>1</sup> ينظر يوسف الإدريسي، عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، الدار العربية للعلوم، بيروت

ط 1، 2015، ص71.

<sup>2</sup> زهير مبارك، السخرية في الرواية العربية، ص 171.

في شكل قلم نو جناح، فالقلم وسيلة للكتابة والتعبير عن الأفكار والمعتقدات وتوجهات كل فرد، والجناح ناقلا لها وبفضله وصلت إلى القراء وعنيت بالدراسة والاهتمام.

كما يؤدي اللون دورا هاما في العمل الإبداعي " ومن هنا نجد أنّ للألوان دلالات معيّنة وارتباطات بالظروف والأحداث التي مررنا بها، وفي هذا تعليل للأسباب التي تجعل بعضهم يميل إلى ألوان من دون أخرى"<sup>1</sup>. فتغليب لون معين دون غيره له دلالات خاصة، فاللون واحد ولكن كل شخص يستخدمه حسب ما يلائم تذوقه الجمالي، إذ يرتبط ارتباطا وثيقا بحالات النفس من حب وبغض واشمئزاز وطمأنينة..

ومن اللافت للنظر أنه سيج المذكرات باللون الأخضر، الذي نعتقد أنه رمز للصفاء النفسي والقلبي، فهو أكثر الألوان ترددا على مستوى الغلاف الذي تتفاوت درجته اللونية فحواف الغلاف كانت داكنة نوعا ما وانتقصت درجته على صفحة الغلاف، وكأنه يريد أن يضعها في قالب خاص، مع وجود اللون الأصفر؛ الذي طبع على الصورة الذي هو في العادة دليل على المرض ، فهنا نجد أنا هذا الولد قد كبر من الهموم .

إذ إن عملية اختيار الألوان وتناسقها فيما بينها يمنح الغلاف جمالية، فقد استعمل اللون الوردي على الطربوش الذي يدل على الطفولة وما فيها من براءة.

"مثلما كانت الأصوات والألفاظ والتراكيب مُشكَّلةً على سنن، وعلى أنحاء من التشكيل والابتداع كانت الألوان كذلك. ومثلما تدبّر القارئ الخطاب اللساني وتأوّله انطلاقا

<sup>1</sup> عياض عبد الرحمان الدوري، دلالات اللون في الفن العربي الإسلامي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط 1

من مرجعيته الثقافية، كذلك كانت الحال في تدبير صفحة الغلاف باعتبارها نصا موازيا تتعالق فيه الأشكال والألوان فتتجاوز المادة والسكون إلى الانتظام كيانا توصليا تتآزر عناصره لأداء معنى، ولتجسيد موقف<sup>1</sup>. وبهذا نستطيع القول أن غلاف هذه المدونة قد استطاع إيصال المعنى المنشود نسبيا الذي يستفيض فيه في المتن المتمثل في "السخرية".

## 2.1 المقدمة

تعتبر المقدمة إحدى العتبات النصية التي تتواجد في أي عمل إبداعي تتخلله وتقدم بعض التوجيهات التي تعين القارئ على عملية القراءة، حيث يرى فيليب لوجون أنها: " المقطع الأولي للنص يتحمل فيه السارد التزامات أمام القارئ، لا يحمل أي شك حول كون ضمير المتكلم يحيل إلى الاسم القائم على الغلاف"<sup>2</sup>. فهي أول ما يقرأ بعد العنوان وآخر ما يكتب، فهي ملمة بجوانب العرض بحيث يتم فيها ذكر أهم العناصر المتطرق لها في أي عمل إبداعي بحيث تمد القارئ بأفكار عن الموضوع المتطرق له.

ذلك أن المقدمة \_ وبحكم موقعها في الغالب وليس في الضرورة عقب العنوان مباشرة \_ كانت تنتج خطابا واصفا لمتن الكتاب تبين فيه طبيعة موضوعه، وتحدد مجاله المعرفي وتكشف دواعي الكاتب الذاتية والموضوعية لتأليفه، وتشير أحيانا إلى المنطلقات

<sup>1</sup> رشيد شعلال، "النص والنص المصاحب قراءة في تشكل الحدث الشعري" اللعنة والغفران"، مجلة المخبّر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، بسكرة، العدد 6، 2010، ص 10.

<sup>2</sup> فيليب لوجون، السيرة الذاتية، ص 40.

النظرية الموجهة لتصوراته وأحكامه<sup>1</sup>. فكتابة المقدمة لا تكون اعتباطية، بل تخضع لخطوات منهجية وعناصر لا بد من توفرها وإلا فإنها لا تؤدي وظيفتها.

المدونة محاطة ومحروسة بمنظومة كبيرة من التصديرات و التقديمات، التي تنوعت في أهميتها وجدواها، حتى بدت وكأنها أكبر من حاجة المدونة الفعلية للاحتماء والتمرس وصدّ الغارات المحتملة من الجهات كلها، لكنها على العموم كشفت عن لجوء الكاتب العربي إلى (عتبات) يستند إليها في سخريته<sup>2</sup>. فالسخرية ليست مقتصرة على المتن فقط بل طالت حتى عتبات النص، إذ من الوهلة الأولى يتضح لنا إن كان الأديب يسخر أم جادا، مع وجود بعض الهفوات والأحكام الخاطئة في بعض الأحيان ، التي نصححها فيما بعد \_ قراءة النص \_ فالأديب له مطلق الحرية في إنتاج صورته وتشكيلها في صيغ فريدة يتميز بها عن غيره.

فعتبة المقدمة عتبة هامة لا يمكن الاستغناء عنها لما لها من أهمية كبرى تهدف إلى عرض خطوط عامة للنص، فإذا ما توجهنا إلى " مذكرات الولد الشقي " لاحظنا تمظهر ضمير المتكلم (أنا)؛ الذي يعود على السارد من جهة وعلى المؤلف من جهة أخرى وعلى الشخصية الرئيسية من جهة ثالثة. "كما ألغى بذلك أيضا الوساطة التي يمكن أن تتشكل بين الراوي والقارئ في حالة استخدام ضمير الغائب"<sup>3</sup>. فهو بذلك يجعل القارئ على

<sup>1</sup> ينظر يوسف الإدريسي، عتبات النص، ص47.

<sup>2</sup> ينظر صابر عبيد، التشكيل السير الذاتي التجربة والكتابة، دار نينوى، سورية، د ط، 2012، ص 164.

<sup>3</sup> محمد صابر عبيد وسوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي دراسة في الملحمة الروائية "مدارات الشرق" لنبيل سليمان، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2012، ص 235.

دراية بالشخصية المحورية قبل دخوله في النص ، وذلك من خلال قوله: " هكذا أنا أيضا

أقول...على أي وجه كانت الحياة في أيام الطفولة فأنا أحبها فقد كانت حياتي".<sup>1</sup>

وعلاوة على ذلك تضيء أي لبس موجود في العنوان، وتفك أحد جوانب غموضه بالكشف عن طبيعة هذه المذكرات بأنها مذكرات ذاتية وليس غيرية، فهو بذلك يحمل على عاتقه مسؤولية سرد حياته وإشراك القارئ فيها ومعرفة خباياها، ومن ثمة تتبدى له بأنها سيرة ذاتية.

فالمكون السير ذاتي، مكوّن يبرز "الحقيقة المرجعية للواقع المعيش، جاعلا من النص الأدبي مطبوعا بسماته، إذ نجد الكاتب يُحمّل نصه مواقف اجتماعية أو سياسية ويتعامل معه على أساس أنه خطاب ذو مضمون، فإنه في حقيقة الأمر يحسم حضوره في نصه الإبداعي، باعتباره واقعا لا يمكن نفيه"<sup>2</sup>، ويحدد بذلك أهمية هذه السيرة التي لا تقاس بالمنزلة أي بالدور السياسي والثقافي، وإنما تقاس بحجم المعاناة التي عاشها وطرق مواجهته لها، إذ بها تخرج لنا هذه الذات الساردة من النص المكتوب إلى أرض الواقع.

إذ نجد في هذه المقدمة اعتراف من الكاتب، بأن حياته كانت محفوفة بالمغامرات والأخطاء المتصلة، التي يريد من القراء أن يستفيدوا منها حتى لا يقعوا في مثلها، فهو يسميها حسب ما جاء في هذه العتبة "أخطاء حياتي"، فعند إلحاق ياء النسبة إلى كلمة

<sup>1</sup> المدونة، ص 7.

<sup>2</sup> ساميا بابا، مكوّن السيرة الذاتية في الرواية حكايتي شرح يطول لحنان الشيخ، دار عيذاء، عمان، ط1، 2012



(الحياة) التي تشير إلى المؤلف الذي هو في نفس الوقت البطل الحاضر في مستوى النص والمشكل له، إلا أن هذه الذات غائبة على مستوى العنوان.

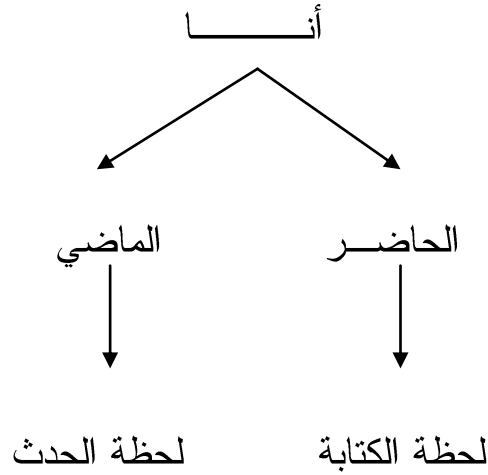
ومن هنا نجد أن علاقة العنوان بالنص تتضح أكثر بحضور المقدمة؛ لأنها بوابة النص فلن يجد القارئ بذلك عناءً في عملية قراءته للنص، وأنه سرد لسيرته في صفحات المدونة.

وبما أن عملية القراءة عبارة عن نشاط استطلاعي لما هو موجود في النص، تجعلنا في فضول دائم وحماس مستمر لسبر أغواره، وخاصة عندما صرح في المقدمة بأنها عبارة سلسلة من الأخطاء من خلال قوله: "وبقدر ما كانت هذه الأيام عاصفة بقدر ما كانت لذيدة، وبقدر ما كانت بائسة بقدر ما كانت عريضة، ورغم الظلام الذي اكتنف حياتي ورغم البؤس الذي كان دليلي وخليلي إلا أنني لست آسفا على شيء"<sup>1</sup>. وبذلك جعل القارئ متحمسا لمعرفة هذه الأخطاء ومعرفة طبيعة المعاناة، التي سيجت حياته وكيفية مواجهته لها. وهنا يطرح السؤال نفسه هل هذا الظلم الذي غيب النور كان بسبب قسوة الحياة؟ أم بسبب إقحام نفسه فيما لا يعنيه؟

فـ "أنا" ضمير متكلم يحيل إذا على "شخص أنطولوجي نفسي، وهو شخص يحمل ازدواجية واضحة مرتبطة أساسا بمفهوم الزمن؛ أي بلحظتين أساسيتين اللحظة الواقعة أو الحدث ولحظة الكتابة"<sup>2</sup>. ويمكن أن نفسر ذلك بالرسم الآتي:

<sup>1</sup> المدونة، ص 6.

<sup>2</sup> ساميا بابا، مكوّن السيرة الذاتية، ص 123.



### خطاطة رقم(4)

رسم توضيحي للعلاقة التي تربط زمن الحاضر بالماضي في النص السيري

ولذا، فإن علاقة الذاكرة بالماضي تتبني على مؤشرين: " الحاضر الذي هو الباعث على الاستذكار والعودة إلى الخلف، وينطلق هذا المؤشر من لحظة الكتابة نفسها، مستندة إلى قرار واع بإحياء فترات أسبق من الوجود عن طريق الاستحضار، أما المؤشر الثاني فهو الماضي نفسه كمجال للوقائع والأحداث، يحمل في معناه دلالة البدء فيكون هذا البدء بمثابة المنطلق الذي يصعد نحو الحاضر تاريخ الكتابة وزمن التذكر"<sup>1</sup>. فقوام السيرة الذاتية التذكري الذي لا ينفصل عن الماضي سواء أكان سعيد أم تعيس، فجورها استرجاع تفاصيل الحياة الغائبة التي يضيف عليها نوعاً من الخيال في بعض الأحيان، غير أنه يحاول إعادتها متوخياً الدقة والحذر في نقلها كما جرت بكل مصداقية.

<sup>1</sup> عبد القادر الشاوي، الكتابة والوجود السيرة الذاتية في المغرب، أفريقيا الشرق، لبنان، د ط، 2000، ص 91.

والسعدني على العكس من ذلك يصرح في المقدمة بالأخطاء قبل المحاسن، فقبل الولوج إلى عالم النص وعند ربط المقدمة بالعنوان، يصبح القارئ على دراية أنها مليئة بالمغامرات. وفي ختامها يوثق كلامه بكتابته اسمه في آخر المقدمة ليقول للقارئ ها أنا ذا.

### 3.1 الصور المصاحبة

إن اللغة البصرية التي يتم عبرها توليد مجمل الدلالات داخل الصورة، هي لغة بالغة التركيب والتنوع. فالرسالة البصرية تستند من أجل إنتاج معانيها، إلى المعطيات التي يوفرها التمثيل الأيقوني بوصفه إنتاجا بصري لموجودات طبيعية تامة (وجوه، أجسام حيوانات، أشياء من الطبيعة...)، وتستند من جهة ثانية إلى معطيات من طبيعة أخرى الذي يطلق عليه التمثيل التشكيلي للحالات الإنسانية، أي العلامة التشكيلية: الأشكال والخطوط والألوان...<sup>1</sup>، وبهذا لم تعد اللغة وحدها وسيلة التعبير، بل تداخلت الفنون وتضافرت وشكلت لنا نصوص، وأصبحت الرسومات خطابا تناظري للنص المكتوب ليحكم عليه بالبقاء والاستمرارية.

وفي ضوء ذلك يمكن القول أن " للرسم مرونة دلالية، تنطلق منها قابلية العلامة للانفتاح على أكثر من مدلول"<sup>2</sup>. إلا أنه عندما يكون هذا الرسم مرفقا بنص مكتوب تكون

<sup>1</sup> ينظر قدور عبد الله ثاني، سيميائية الصورة مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2008، ص 34.

<sup>2</sup> زهير صاحب، نجم حيدر وآخرون، قراءات وأفكار في الفنون التشكيلية، دار مجدلاوي، عمان، ط 1، 2011 ص 218.

دلالاته محصورة في إطاره ولا تخرج عن حدود معناه العام، وذلك من خلال الربط الذهني بين الفكرة والمضمون.

فالعلامة الصورية أو الأيقونية " نفترض تعبيراً وحيداً لكل دلالة، تعبيراً يرتبط بهذه الدلالة بصورة طبيعية والرسم هو المثال المعروف لهذا النوع من العلامات، ومهما حاولنا التوغل في تاريخ الإنسانية، فسنجد حتما علامتين ثقافيتين مستقلتين ومتعادلتين هما ( الكلمة والرسم)<sup>1</sup> ، ولكل منهما جذور تاريخية إلا أنهما يلتقيان في كونهما وسائل التعبير عن أفكار الأفراد؛ فالألوان والخطوط والرسومات هي كلمات مضمرة فيها ناطقة بأفكار.

تلعب الصورة دوراً مهماً لا غنى عنه شأنه في ذلك شأن الكلمة، وذلك لاحتفالها بالعديد من المضامين المعبرة لما يجول في الذهن وهذا ما جاء في " مذكرات الولد الشقي" التي كان لها دور كبير في إيصال المعنى، وخاصة أنها رديفة نص مكتوب وهذا ما يزيد المضمون وضوحاً كما هو في الصورة رقم (1)، التي نتحدث عن الحادثة التي وقعت بين الصبي \_ محمود السعدني \_ وأستاذه " كان سميماً كالطور ..فسقطت البطيخة وانكسرت، ولما حاول أن يلتقط البطيخة، سقطت منه الشمامة وتدرجت على الأرض ثم تدرج منه الليمون، وذهبت كل ليمونة في اتجاه، وأصبح منظر الشيخ عبد العال

<sup>1</sup> بلاسم محمد، الفن التشكيلي قراءة سيميائية في أنساق الرسم، دار مجدلاوي، عمان، ط 1، 2008، ص 50.

مضحكا للغاية...<sup>1</sup>. إن عملية الوصف هذه لمنظره، التي تتفق مع الصورة التي تجعل العمل شيقا وملما بتفاصيل الحادثة قد مكنت القارئ من الإلمام بحيثيات الحادثة.

والصورة وسيلة إيضاح مساعدة على الفهم؛ لأنها تتميز بنسق أيقوني خاص قد يجعلها تصل إلى المعنى من أقرب مرمى، فنقدم للمتلقي خدمة مهمة جدا؛ لأنها تكثف من فعل التبليغ<sup>2</sup>، وتعطيه وضوحا ليجعل المتلقي وكأنه شاهد على الحادثة، وذلك من خلال النص المصاحب لها، فتصبح لغة الصورة تحوي بين زواياها تفاصيل مثقلة بالمعاني التي تزيد من عنصر التشويق، فهي لغة مكملة للغة النص.

ويمكن أن نقول على العموم بأن الصورة هي تجسيد لما هو في النص، وتساعد على الربط بين الفكرة والمضمون، وفي الصورة رقم (2) التي جاء فيها " كنت ألعب في ابتهاج ظاهر ذهب الشيخ طاهر مصوبا عصاه الرفيعة نحو عيني وقال في تودة وبصوت رخيم:

\_ أعرب جاء محمد يا ولد..

ونهضت مذعورا كأرنب ولكنه خلصني من زعري وأمرني بالجلوس فقد كانت اصبعه مصوبة نحو غزالي، وحمدت خفى الألفاظ الذي نجاني مما أخاف"<sup>3</sup>. إن الإدراك البصري للصورة له دور إيجابي، وذلك من خلال تعميق الفكرة، فطريقة تصوير

<sup>1</sup> المدونة، ص 15.

<sup>2</sup> ينظر إبرير بشير، " الصورة في الخطاب الإعلامي"، محاضرات الملتقى الدولي الخامس السيمياء والنص الأدبي

جامعة محمد خيضر، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي، بسكرة، 15 - 17 نوفمبر 2008، ص 59.

<sup>3</sup> المدونة، ص 34.

الشخصيات وخاصة السعدني وصديقه أمام الأستاذ الذي كان يوجه إصبعه نحو صديقه الذي كان خائف لعدم معرفته الإجابة كانت تشير إلى ما جاء في الوصف. ومنه نستطيع القول بأن بناء الصورة لا يأتي صدفة، بل هو عملية تخضع لتفكير وتدبر ومهارة لتكون أكثر جاذبية أي لتنشيط عملية الانتباه والأمر المهم ملمة بمحتوى النص المكتوب.

إذا كانت اللغة تصف وتسرد بواسطة الكلمات والجمل حسب ما يقتضيه النسق اللغوي، فإن الصورة تسرد بفضائها البصري وما تؤثته من مكونات، وبذلك تكون لها دلالات متجذرة في المجتمع والثقافة التي تنتمي إليهما أو تتحدث عنهما<sup>1</sup>، ولهذا أصبحت من الخطابات الرئيسية التي تسرق أنظارنا إلى عالم خطاب النص المكتوب وهذا ما تجسده الصورة رقم (3) التي جاءت مصحوبة بالنص المكتوب " وقع اختيارنا على حلوف سمين كأنه جاموسة وامتطينا ظهره، ولكن الحمل كان ثقيلاً عليه فلم يخط خطوة واحدة إلى الأمام. لذلك اختار غزالي حلوفاً آخر امتطى ظهره وذهبنا إلى المدرسة لأول مرة نركب شيئاً آخر غير الأقدام"<sup>2</sup>.

فهذه الصور لها قدرة كبيرة على تجسيد المعنى العام وإيضاح اللبس وفك غموض بعض الألفاظ، فقد كانت عاملاً مساعداً للفظ من خلال التعبير البصري المشوق الذي يضمّر العديد من المعاني، فالصورة تعيدنا إلى أيام الطفولة فهو يعرضها بطريقة مثيرة للضحك ساخراً من هذه الأيام التي كانت حافلة بالعديد من المغامرات.

<sup>1</sup> ينظر إبرير بشير، "الصورة في الخطاب الإعلامي"، ص 49.

<sup>2</sup> المدونة، ص 32 - 33.

وعندما ننتقل إلى الصورة رقم(4) نلمس فيها من السخرية المثيرة للضحك أكثر من أنها صورة عابرة، بل هي صورة معبرة ساخرة من خلال ربطه بالحبل و تموقع الجدة التي كانت تبدو في ابتهاج، وهي تنظر إليه في تلك الحالة ووجهه متسخ بالطين، فهو يبدو حزين، في حين أنه كان عندما يكون يلعب في ( الترعة) يحس بابتهاج كبير" ولكي ترضي هوايتي في الشقاوة كانت تسحبني معها إلى ترعة ناشفة فيها من الطين أكثر مما فيها من الماء .. وكانت تجلس على حرف الترعة ثم تطلقني إلى الماء وقد ربطتني بحبل كأنني عجل جاموس رضيع .. وكنت أقضي النهار بطوله أبلبظ في الطين وطرف الحبل مربوط في يدها حتى لا أفلت منها فأغوص في الطين أو أغرق في مياه الترعة.."<sup>1</sup>

ينقل لنا تفاصيل الحياة اليومية بطريقة هزلية ساخرة، يتضافر فيها الخطاب المكتوب بما هو خطاب بصري وبطريقة مثيرة للضحك، وخاصة أن الشخصية التي يصورها هي نفسها الشخصية الساردة.

الصورة رقم (5): " طرحني أرضا و رزني علقة كدت أموت فيها إلى رحمة الله"<sup>2</sup> الصورة معبرة عن الحادثة؛ من خلال رفعه لقدميه ورأسه مبطوحة على الأرض فالصورة عبارة عن توثيق لذلك، وبذلك اختصرت الصورة الطريق على القارئ عملية التفكير وتصور الحادثة، وجعلتها ماثلة أمام عينيه تسرق العين وتجعلها أسيرة المعنى

<sup>1</sup> المدونة، ص 46.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 62.

الذي تعبر عنه. وهذه الصورة تكررت في أكثر من موضع؛ لأنه كان يأخذ علقه في كل مرة على شقاوته.

وفي ختام هذه المذكرات يورد صورة الصبي \_ الصورة رقم(6) \_ والتي هي عبارة عن حلقة تتوسطها صورته؛ لأنه بحق في حلقة من الشقاوة لا يستطيع أن يفصل عنها فالأيام تمر والشقاوة تزداد والسعدني يزداد في العمر، فهو في هذه الحلقة لا يستطيع الخروج .

فكلها صور معبرة توطن العلاقة بين الكلمة والصورة، صور ناطقة بما في الكلمات من معاني ومجسدة لها.

## 2. مستوى الحكاية

### 1.2 الشخصيات

حظيت الشخصية باهتمام الدارسين باعتبارها مكون سرديا فاعلا ومتفاعلا تدخل في شبكة علاقات متعددة مع الشخصيات الأخرى ضمن حيز الخطاب السردى (Discours narratif)، فهي نقطة تقاطع بين جميع الأجناس السردية لما تقضيه من فاعلية وحركية.<sup>1</sup> فهي اللبنة الأساس؛ لأنها هي التي تقوم بالحدث وتتفاعل مع تغيرات الزمن، وهي الناطقة باللغة المعبرة عن أفكارها وتوجهاتها التي تحمل أفكار حيز مكاني معين.

تعد الشخصية الحكائية بوصفها كائنا إنسانيا يتفاعل داخل النص السردى مع عناصر السرد الأخرى في تكوين المشهد، ومن خلال هذا المستوى، فإن الشخصيات

<sup>1</sup> ينظر نعيمة سعدية، التحليل السيميائي والخطاب، عالم الكتب الحديث، إربد، ط 1، 2016، ص 108.



يمكن أن تتفاوت من حيث مركزيتها أو هامشيتها<sup>1</sup>؛ إذ إن الشخصيات الفاعلة والتي تكون مدار الحدث ونقاط التحول هي (المركزية)، والشخصيات التي لا تؤثر في الحدث (هامشية) التي يكون لوجودها هدف معين تختفي باختفائه، ولهذا فإن أي عمل سردي يركز على الشخصيات.

### 1.1.2 الشخصيات الرئيسية:

الممثلة في البطل الذي يقوم عليه العمل الإبداعي، فهي التي تنقل وتصور ما يريد الكاتب إيصاله، فكلما كانت قريبة من الواقع كانت أكثر تأثيراً، فالشخصية في النص السير ذاتي هي حقيقية ولا مست الواقع وتعايشت مع ظروفه، وهذا ما نجده في شخصيات "مذكرات الولد الشقي" وعلى رأسهم كاتبها:

**السعدني:** هو الشخصية المحورية التي تتحكم في مجريات الأحداث، ساخر تارة ومسخور منه تارات . "فالسخرية هو المنهج الذي اختاره للتعبير عن آرائه والتواصل بين الشخصيات، وهي تختلف في كيفية إجراء السخرية حسب اختلاف الوضعية التواصلية"<sup>2</sup> فقد تعددت أساليبها حسب الحاجة والسياق، فهي تتلون بتلون الظروف.

فهو يسترجع بأسلوبه الساخر الكثير من الحوادث التي وقعت له، ويبرز مدى أثرها في حياته، ففي تقديمه لها وبذكره كل التفاصيل يجعل القارئ يثني عليه وعلى مدى قدرته الذهنية على التذكر، ففي بعض الأحيان نظن أن فيها نوع من الخيال لولا تصريح " كامل

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 108.

<sup>2</sup> زهير مبارك، السخرية في الرواية العربية، ص 78.

الشناوي" الذي أوردته دار النشر في آخر المذكرات الذي يقول فيه " كنت أعتقد أن خيال محمود السعدني أقوى ما فيه، فهو إذا كتب أو تحدث، أضفى على ما يكتبه، وما يقوله صوراً يستمدّها من خيال أوسع.. ولكن مذكرات الولد الشقي أثبتت أن ذاكرة السعدني أقوى من خياله إنه يروي أحداث طفولته بدقة وتفصيل، كما لو كانت هذه الأحداث قد وقعت له منذ لحظات"<sup>1</sup>

فهو الذي يتحكم في كل الشخصيات، فلا نستطيع معرفة أي شيء عنها إلا من منظوره لها، وما يريد إيصاله لا أكثر؛ لأنه موكل بوظيفة ثانية وهي ( السرد ) أي يقوم بعرض مجريات الأحداث، فهو الذي يحكم على الشخصية بالبقاء أو بالموت بمجرد توقفه الحديث عنها .

إلا أن هذه الشخصية وهي في مرحلة مبكرة \_ مرحلة الطفولة \_ قوية صامدة لدرجة أنه كان كلما وقع في مصيبة إلا ويخرج منها ويقع في أخرى أكثر منها، وسبب ذلك أنه كان يريد أن يعيش حياة غير التي يحيهاها.

فمأساته كانت منفردة كان هو الذي يضع نفسه فيها، فقد كان لا يهتم شيء سوى اللعب، وخلق جو من المرح والشقاوة، كان قد اشتهر برمي المارة بالطوب، وكان يكره الدراسة لدرجة يتمنى لنفسه المرض مقابل الذهاب إلى المدرسة يقول: "آه من الولد الشقي يموت ولا يتعلم، ويدخل اللومان ولا يدخل المدرسة"<sup>2</sup>. وهنا يطلعنا الكاتب على نحو

<sup>1</sup> المدونة، وجهة نظر كامل الشناوي في مذكرات الولد الشقي، آخر صفحة من المدونة. الموقع الإلكتروني:

www.ibtesamh.com/vb

<sup>2</sup> المدونة، ص 53.

تفصيلي على طريقة تفكيره، فقد كان يتمنى دائما أن لا يستطيع والده دفع نقود الدراسة يقول : " وفي هذا العام عجز أبي عن دفع القسط الأخير من مصاريف الدراسة فطرّدوني، ولم يكن في الوجود من هو أسعد من عندما قذف بي عم محمود إلى خارج أسوار المدرسة"<sup>1</sup>

فالسخرية هي ما كان يؤنسه ويفرج همه في هذه المحن، فهي نتاج وعي فرديّ مأزوم يعيش غربة عميقة داخل مجتمعه وحيرة عاصفة، وبحث مرير عن لذة سعادة يطلبها فلا يُدركها إلا إذا جعل الحلم واقعا يسكن إليه والجنون سبيلا يقيه لذعة الواقع ومرارته<sup>2</sup>، والشيء الغريب في أمره أنه كلما أوقع الآخرين في مصيبة يشتد فرحا وكأنه حقق إنجاز عظيم يقول: " فلم نكن قد اقترفنا ذنبا، وإنما شقاوة لذيدة ومعرفة حلوة انتصرنا فيها على مدرسة محمد علي"<sup>3</sup>

ويستغرق في تصوير مدى شغفه للخوض في المغامرات بقوله: " وقضيت الليل كله أفكر في المغامرة التي انتهت بالفشل، ولكنها منحنتني الثقة المطلقة في قدرتي على المغامرة في مستقبل الأيام"<sup>4</sup>، ومع هذا المثال لا بد للقارئ أن يضع في حسبانته أن هذه الشخصية مغامرة بامتياز لا تتعب ولا تمل مهما وجدت من يعرقل طريقها، ويفجر النص كتلة هذه المغامرات.

<sup>1</sup> المدونة، ص 59.

<sup>2</sup> ينظر زهير مبارك، السخرية في الرواية العربية، ص 76.

<sup>3</sup> المدونة، ص 24.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 146.

لقد عان من جراء شقاوته ما عان، وذلك لمحاولته تغليب مصلحته الخاصة على حساب من حوله، فهو يعيش صدمة الواقع المرير الذي يواجهه ويحاول التغلب عليه يقول: " وعدت أنا تلميذ في المدرسة، ولكن تلميذ شاب قبل الأوان سبعة عشر عاما مضروبة في ألف عام، خضت خلالها في وحل الحياة"<sup>1</sup>.

لقد وقفنا، من خلال الاعترافات المعروضة أعلاه على شخصية هذا الكاتب المصري الساخر من كل شيء حتى من نفسه واصفا كل ما تحمله من صفات سواء تعلقت بالجسم أو بالأخلاق.

## 2.1.2 الشخصيات الثانوية

وهي الشخصية التي تشارك في نمو الحدث القصصي، وبلورة معناه والإسهام في تصوير الحدث، ويلاحظ أن وظيفتها أقل قيمة من وظيفة الشخصية الرئيسية<sup>2</sup>، وذلك لأن الشخصية الرئيسية، لا تستطيع لوحدها صنع الحدث القصصي، فهي بحاجة إلى شخصيات مساعدة لها للوقوف في وجه الشخصيات المعارضة لها، وبهذا تتشكل لنا الأحداث فهي تنمو بنموه. فقد يحدث العكس وتتحول الشخصيات المساعدة إلى شخصيات معارضة والعكس صحيح ليس هذا في كل الحالات ،فقد تبقى على حالها حسب ما حدده السارد من لحظة انطلاق السرد.

<sup>1</sup> المدونة، ص 188.

<sup>2</sup> ينظر شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة 1947 - 1985، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ط، 1998، ص32.

وهي شخصيات محركة للأحداث، بل هي التي تصنع الحدث مع الشخصية الرئيسية فبفضلهم ينمو الحدث ويتطور، وهي أيضا متغيرة لا تبقى على وتيرة واحدة خلال المسار السردي.

الشيء اللافت للانتباه في شخصيات " مذكرات الولد الشقي " أنه قدمها بأسلوب ساخر مستندا إلى التصوير الكاريكاتوري ، فجل الشخصيات عرضهم على هذا الأساس. ومن أكثر الشخصيات التي تحتل مساحة واسعة في ذاكرته، وفي النص السردي الذي نحن بصدد دراسته شخصية "غزالي".

**غزالي:** ويظهر بهذا اللقب في صفحات المذكرات، فلم يصرح باسمه الحقيقي وإنما كان يناديه به، وتحتل هذه الشخصية أكبر مساحة من الشخصيات الأخرى ؛ لأنه خاض مع السعدني معظم مغامراته، فقد كان يسانده في كل شيء ويشجعه على أي شيء حتى وإن كان على خطأ "اتفقنا على سرقة التوأمين خرجت من بيتي مع غزالي نخوض في أوحال الجيزة ونقتحم خراباتها نحو المدرسة.. وفعلا وقع اختيارنا على حلوف سمين.. اختار غزالي حلوفا آخر.. وأكلنا علكة ساخنة.. لم نكف أبدا عن سرقة الخنازير."<sup>1</sup>

وهذا الشاهد يشير إلى دور هذه الشخصية وأثرها في الأحداث؛ لأنه كان سنده في مغامراته، فقد كان يتحمل في بعض المواقف نتائج أفعال السعدني؛ بمعنى أنه كان يتستر خلفه وينال هو العقاب " ونهضت مذعورا ولكنه خلصني من ذعري وأمرني بالجلوس

<sup>1</sup> المدونة، ص 32 - 33.

فقد كانت عصاه مصوبة نحو غزالي، وحمدت خفي الألفاظ الذي نجاني مما أخاف"<sup>1</sup>.  
فقد كان يسخر من حاله يضع نفسه ومن حوله في مواقف لا يحسد عليها مثيرة للضحك  
والشيء الأكثر إثارة تقديمه لها بأسلوب ساخر.

عبد المنعم: من أصدقاء السعدني يشبهه في تصرفاته" مغامر إلى حد الانتحار، وفيها  
إلى درجة الاستشهاد من أجل صديقه مولعا بالأذى للأذى ذاته"<sup>2</sup> فالسخرية هنا تتأتى من  
غبائه وعدم اتخاذه موقف بخصوص، حياته فهو يتبع السعدني حتى وإن كان ذاهب  
لهلاكه. فهذه الشخصية مرتبطة بفترة الدراسة تظهر وتختفي. فقد كان كلما انتقل إلى  
مدرسة شكل مجموعة من الرفاق لإعانتة على(..)

عم شحاتة: هذه الشخصية مثال للإنسان المكافح الذي لا يهمله شيء من الدنيا إلا أن  
يعيش في حدود ما يرضي المولى عز وجل، ولكن السعدني لم يترك شخص وإلا ترك  
بصمته في حياته، فقد كان يتعقب السعدني؛ لأنه كان ينصب عليه. فقد سخر من حال هذا  
الشيخ العجوز ولم يكن يعلم بأنه كان يسخر من حاله.

الجارحي: كان نموذج للريفي الطيب الذي كان جو القرية بالنسبة له أعلى من كل  
شيء، كان كلما حكى إلا وذكر الأيام التي شهدتها هناك" كان يتكلم عن الزراعية بوجد  
وشغف وكأنه يتحدث أجمل مكان في الأرض! ورغم حلاوة المدينة وجمالها فإنها لم  
ترقه كثيرا.. وحياة سيدنا النبي دي بلد جاحدة اللي يموت فيها ما يلاقي اللي

<sup>1</sup> المدونة، ص 34.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 22.

يشيلوا..أحمد زي الحاج أحمد!"<sup>1</sup>، فعلامة التعجب في هذا السياق أفادت الاستغراب الساخر، لكنها نبهت المسخور منه<sup>2</sup> إلى حقيقة الواقع الذي يعيش فيه، فبالرغم من رداءة الواقع الذي يعيش فيه إلا أنه يحن إليه، لا ربما يحن لصفاء الجو ونقاؤه.ولكن سرعان ما تغير رأيه فمسلكه لم يدم طويلا " .. أكلته المدينة وبلعته في أحشائها ولقد تسالت المدينة إلى قلب الجارحي عن طريق العيش السخن والطعمية، كان يحب الطعمية حب عاشق ولهان، وكان العيش السخن يذكره بأمه التي ماتت منذ بعيدا!"<sup>3</sup> فالسارد استخدم أسلوب التعجب مرة أخرى متعجبا من أمر الجارحي الذي لم يستقر على حال.

ويتوالى ذكره لبعض الشخصيات ( الأب، الأم، الجد، الجدة، عم محمود، الزمراني الشيخ الطاهر،عبده، أحمد عبد الرحمان، الحكيم، عم شنودة، المعلم قطب...)، فهي شخصيات دخلت حياته وساهمت في تفعيل الأحداث، إلا أن حضورها في المذكرات جزئي.

وكان يطمح بالتعرف على المزيد من الشخصيات " أرجو ألا أموت قبل سن السبعين.. لكي أتعرف إلى أكبر عدد ممكن من الناس"<sup>4</sup>، قد كان يريد الخوض في مغامرات جديدة، فشقاوة الصغر بقي لها الأثر عندما كبر، فقد كان لا يستطيع أن يبقى

<sup>1</sup> المدونة، ص 84.

<sup>2</sup> ينظر زهير مبارك، السخرية في الرواية العربية، ص134.

<sup>3</sup> المدونة، ص84.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 194.

على حال ينقد وينتقد ويمرح بالسخرية "عندما يحين الوقت لأكتب لكم مذكرات الرجل الشقي"<sup>1</sup> ، وفي الختام يكثف السرد دفعته الأخيرة، يحمل صور صادقة مفعمة بالسخرية.

## 2.2 الحوار

### 1.2.2 الحوار الخارجي:

الحوار أحد التقانات المركزية إذ يعد وسيلة يلجأ إليها الراوي لنشر الزحم الحاصل في فعل السرد، ويبعد الملل عن المتلقي وهو يتلقى النص إذا ما تدفق سرداً أو وصفاً فالحوار روح العمل السردية، الذي يحرك عالم الأحداث تحريكاً نوعياً، يمنح نصه روحاً ثانية إلى جانب الأرواح السردية المسيطرة على النص<sup>2</sup>، فهو يخضع لقواعد المحادثة المبنية على الاحترام المتبادل بين المتحدث والمستمع له، قد يحدث خرق لأسباب يوردها السارد.

" يكمن عنصر الحياة في هذا الفن الرائع في الروح الساخرة الضاحكة التي يحملها للإضحاك حيناً، وللسخرية حيناً آخر، فالتوسل لهدفه بالحوار الحي المصور، الذي يتابع الأحداث، ويشوق للاستمرار حتى النهاية، ويكشف طبيعة الشخصيات، ونفسياتها، ويقدم ألواناً من المفاجآت المدهشة"<sup>3</sup>، ونعتقد أنه يعمد إلى خلق المتعة في متابعة أحداث ومجريات القص، وليس هذا فحسب بل يدل على قدرة الأديب الساخر في مواجهة

<sup>1</sup> المدونة، ص 197.

<sup>2</sup> ينظر محمد صابر، سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، ص 248.

<sup>3</sup> نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة، ص 136.



الشخص المسخور منه وعلى ذكائه في تغيير الجو في اللحظة التي يتعامل فيها الآخر بجدية .

يقول السعدني في حوار دار بينه وبين الفتاة التي كان يتظاهر لها بالحب، التي كانت تشتغل عند أحد المستشارين.

أنا خائفة يا حودة

إيه المستشار جى

ولكنها كانت ترد بدلع كدلع بطلات السينما..

لا يا حودة .. أنا خائفة على حبي!

حبك؟! إلهي يخيبك ويخيب حبك يا بعيدة سببتي ركبي ووقعتي قلبي في رجلي..<sup>1</sup>

وبهذا يكون قد ساهم في تصوير الشخصية وإبراز الجانب المضحك منها، وما يميز هذا الحوار يتخلله الوصف \_ وصف حالته\_ الذي ساعد على تغيير الجو. ويكشف هذا المقطع الحوارى على خرقه الجو الرومانسي إلى جو الكآبة.

فالسخرية في المقاطع الحوارية" تقوم على انتهاك مقصود لقواعد المحادثة، لخلق خطاب ساخر. إن تأكيد خاصية التبادل اللفظي بين المتخاطبين يفترض رغبة كل منهما في احترام قواعد المحادثة، لكن انتهاك أحدهما بعض هذه القواعد أوكلها يفضي إلى تعطيل المحادثة، ولأن تعطيل المحادثة من قبل أحد المتخاطبين تحدده دوافع متعددة

<sup>1</sup> المدونة، ص 185.

كالغضب..<sup>1</sup> إذ أنه لا يفضي في كل الحالات بأن يكون الخطاب ساخرًا؛ لأنه قد يكون هناك انتهاك لقواعد المحادثة ولا تكون بهدف السخرية، وإنما تكون لأسباب أخرى كأن لا يقتنع برأي الآخر أو يكون متحيز أو متعصب لرأيه أو يكون قد ارتكب ذنبًا..، ولكن عندما ترفق بحركات حينها نعرف إن كان يسخر أم لا.

ومن الحوارات الساخرة التي يسترجع فيها أيام طفولته وبتعبير أدق أيام شقاوته ما جاء في إحدى المغامرات التي خاضها:

الشيخ محمد: مين اللي عمل دي يا ولاد الكلب.

وخيم صمت رهيب على الفصل فلم يتكلم أحد، وأعاد الشيخ محمد صيحته وكررها أكثر من مرة ثم وقف في هدوء شديد، ومسح يده في جبهته، وقال في منتهى الوقار.  
الصدق منجى.. اللي عمل دي يقول وأنا مسامحه.

وصدقت الشيخ فرفعت إصبعي فخورا كأني غزيت عكة.. وقبل أن يصل إصبعي إلى رأسي كانت عصا الشيخ محمد تسليخ جلد وشي..<sup>2</sup>

وقد تمكن السارد \_ بهذه المقطوعة الحوارية\_ أن ينتهك قواعد المحادثة والتي أساسها الاحترام، فبدلاً من أن يقول يا تلاميذ ندام بـ (ولاد الكلب)، فهذا الحوار توسطه عنصر السرد الذي صور فيه حالة الشيخ والصمت المثير للضحك .

<sup>1</sup> زهير مبارك، السخرية في الرواية العربية، ص 115.

<sup>2</sup> المدونة، ص13.

## 2.2.2 الحوار الداخلي (المونولوج)

أشبه ما يكون بمخاطبة الذات ومناجاتها، وأطلق عليه النقاد الحوار الداخلي أو المونولوج ونسميه بالحوار الذاتي، إذ تشكل النقطة المركزية التي ينطلق منها هذا الحوار وإليها يعود<sup>1</sup> وهو عبارة عن تنفيس الذات لحمولتها، فمن خلاله الشيء الباطني الذي لا يمكن أن يطلع عليه أي شخص يخرج للعيان يمكننا ملاحظته عن طريق محاورته ذاته.

يعتمد على إرسالية ملفوظية مكشوفة تنطلق من النظرة الأحادية للشخصية ورؤيتها الذاتية تنقد ذاتها وتحاور أفكارها، وهذا الانتقاد يوجه إلى النفس طالما هي عاجزة عن تحقيق ما تريده، وكما أن الواقع الذي يعيشه يفرض مثل هذا الانتقاد ويصبح الحلم بالمستقبل من الأحلام غير الممكنة لأنها عاجزة<sup>2</sup>. فالعجز والقصور يجعلان الإنسان بحاجة إلى مفر الذي لا يكون إلا بمحادثة الذات لذاتها ولا وجود لبديل آخر، فهي تعبر عن غياب الاستقرار الذهني.

فقد أورد السعدني مثل هذه الحوارات، ولكن في مواضع قليلة جدا يقول "كان الجارحي أول من عرفناه من الرجال.. كان يدندن بصوت خفيض لحنا غاية في الحزن

<sup>1</sup> ينظر محمد صابر، سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، ص 257.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 259.

غاية في الشجن، ع الزراعية، وكانت كلمة الزراعية على لسانه دائماً<sup>1</sup>، فالحنين والشوق دفعاه إلى التحدث عن المنطقة التي ترعرع فيها الحاضنة لأيام الطفولة.

"وعندما دخلت الحديقة تخيلت نفسي من أطفال الغابة الجديدة، وبين شجرتين عجوزتين من شجر الجوافة، صنعت لنفسي كوخاً.. واندمجت في الدور أكثر فكنت أقطع الوقت في الحديث مع العم جاكوب، كنت أطلب منه أحيانا أن أرى بابا تماما كما قرأت في قصة الغابة الجديدة.. وكنت أبكي وأتشنج بكاء مزيفا، ونشيجا مصنوعا على طريقة ممثلي السينما.."<sup>2</sup>، يمكن أن نعتبره حديث نفسي أكثر منه سرد، فهو ينطلق من أغوار النفس حلمه الذي يستحيل أن يتحقق؛ شخصية (عم جاكوب) شخصية روائية ليس إلا، ولا وجود لها فمن شدة إعجابه به أصبح يتحدث مع نفسه على أساس أنه مائل أمامه، فالسارد الذي هو الشخصية الرئيسية هو الذي يدفع لهذا الحوار ليظهر جانب خفي من شخصيته. على أن الذي جعلنا ندرجه ضمن الحوار الداخلي، هو اتصال الخطوط فيما بينها فهو "أقرب إلى سبر أغوار النفس الداخلية على النحو الذي يجري في تقانة المونولوج"<sup>3</sup> الذي لا يتطلب طرف آخر لتحقيق العملية التواصلية .

### 3.2 اللغة:

لا شك أن " اللغة هي المادة الأولية للأدب، وهي بمثابة الألوان للتصوير والرخام للنحت، بل لاشك أنها ألصق بموضوع الأدب من هذه المواد الأولية بموضوع فنونها

<sup>1</sup> المدونة، ص 83.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص56.

<sup>3</sup> محمد صابر، سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، ص261.

وذلك لأن الفكرة أو الإحساس لا يعتبران موجودين حتى يسكنا إلى اللفظ، وأما قبل ذلك فلا وجود لهما على الإطلاق، وكثيرا ما يكون الخلق الفني مستقرا في العبارة ذاتها<sup>1</sup> فاللغة هي الوسيلة التي يتخذها الأديب للتعبير عن أفكاره، فهي التي تنقل لنا أفكار الأديب وتجعلها في صورة واضحة، ولهذا يعتبر عنصر اللغة من العناصر المهمة فلا وجود للأدب بدون اللغة.

لجأ الأدباء إلى أسلوب القصة أو الحكاية، لتقديم السخرية في كتاباتهم، ذلك أن هذا الأسلوب يعطي حرية أكثر في التعبير عن المواقف الإنسانية الضاحكة الساخرة. وتحمل عنصر المفاجأة التي تتبع من خلالها الدهشة والإعجاب والتفاعل معها من قبل الجمهور ليتمكن من الالتفات إلى الهدف المنشود منها<sup>2</sup> ، وذلك من خلال التقاطه للصور المشوهة التي تضخم العيوب بهدف النقد والتنفير من هذه المواقف المثيرة للضحك التي يحاول فيها تخير اللفظ والصورة ويستخدم فيه التصوير الكاريكاتوري الذي يلتقط فيه صور الأشخاص الغريبة ويوظفها توظيفا ملائما للموضوع.

تشكل اللغة في "مذكرات الولد الشقي" من الوصف والسرد بحيث كانا متلازمين ارتبط الوصف بتصوير الشخصيات والأماكن المتواجدة بها والسرد معبر عن الأحداث التي تقوم عليها الذكريات.

<sup>1</sup> محمد مندور، في الأدب والنقد القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط1، 1949، ص17.

<sup>2</sup> ينظر نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة، ص 132.

فقد وظف اللغة الوصفية توظيفا محكما وذلك لإثبات واقعية الأمكنة المشكلة للشخصيات " والشيخ محمد قصير كآئه تلميذ نسيه أهله فشاب شعر رأسه، مقوس تماما كآئه حدوة حصان انبرت من كثرة الاستعمال، ليس له بيت فهو ينام في المدرسة ويسهر الليل بطوله في قهوة السروجي"<sup>1</sup>، فعدم وجود مكان محدد لهذه الشخصية كان نتيجته أن ظهره تقوس من النوم على الأرض. فلغته تمتاز بتدفق العبارة الساخرة وخاصة في تصويره للشخصيات .

لجأ الكاتب إلى الأسلوب المباشر، الذي يمزج فيه بين اللغة الفصحى واللهجة المصرية، فهو لا يستخدم الأساليب الغامضة؛ ليفهم عمله العامة من الناس ولا يكون حكرا على الطبقة المتقفة.

حيث جاء الأسلوب بسيطا وقريبا مما يلحج به الناس في أحاديثهم بعيدا عن الألفاظ الغامضة، فجاءت لغة أدب السخرية والفكاهة واضحة وسهلة بعيدة عن التكلف والغموض لأنه موجه للناس بكافة طبقاتهم ويكون سريع الأثر في نفوسهم، يستخدم الكثير من الألفاظ الشعبية الشائعة والتي لا تحتاج إلى معجم لمعرفة معانيها<sup>2</sup>. ومنه نستطيع القول بأن توظيف العامية ليس ضعفا على العكس من ذلك وإنما لإثبات الهوية المصرية في أدبه التي تتخلل السرد والوصف وذلك ليبعد الملل عن أدبه أيضا.

<sup>1</sup> المدونة، ص 9.

<sup>2</sup> ينظر نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، ص 108.

ومهما تكن هناك طرق وأساليب أخرى يتبعها الكاتب تبقى اللغة لها الدور الكبير فهي المركز الذي ينبجس عنه المعنى.

## خلاصة

وصفوة القول في هذا الفصل أن السخرية تتميز بمرونة وانفتاح مكنها من أن لا تكون حكرا على المتن، بل تسالت وسيجت ما يحيط به من غلاف وصور ومقدمة وغيرها، وغدت هذه العناصر من الأمور المهمة التي شغلت بال العديد من النقاد والمفكرين كونها مقدمة للعمل.

ومنه حاولنا أن نكشف عن الهالة الكثيفية المنيرة من النصوص الساخرة ، بحيث كشف غلاف هذه المذكرات بصفة عامة والعنوان بصفة خاصة؛ كونه وحدة أساسية من وحدات العمل الأدبي، والبؤرة التي تنبثق عنها العديد من المعاني المجسدة لما هو في المتن السردي عن قدرة محمود السعدني في تقديمه لحياته بطريقة ساخرة، وهذا ما لاحظناه في العنوان "مذكرات الولد الشقي"، الذي لم يكن عفويا في اختياره لهذه الدوال التي تفتح على العديد من المدلولات كلها تنصّب في بوتقة السخرية.

تمثل مقدمة هذه المذكرات نقطة فصل وبداية انطلاق لما هو في المتن، وذلك من خلال تصريح الكاتب بأنها سيرة ذاتية فيها من الأحداث والمغامرات ما يجعله يسخر من ذاته. كما استند على مجموعة من الصور المجسدة لما هو في النص اللساني بطريقة ساخرة مثيرة للضحك تجعل النص المكتوب راسخا في الذهن.

تحتوي المذكرات على شخصيات متعددة متفاوتة في الأعمار، تكتسب مصدقيتها في كون الأحداث تلامس الواقع وتعبير أدق ناقله لما هو في الواقع؛ فهي شخصيات حقيقية عاشت مع الكاتب وتعايشت مع الظروف آنذاك.

كما أدى الحوار دورا كبيرا في إبراز عنصر السخرية معبر عن ظروف وملابسات الأحداث، فقد كان الحوار المباشر هو السائد بين الشخصيات، وهذا ما جعلها تتميز ببساطة الطرح والعرض. وبالنسبة للحوار الداخلي جاء في شكل لمحات خاطفة وذلك لتداخله مع السرد.

لقد استطاع السعدني من خلال مزاجته بين اللغة العامية \_ المصرية \_ والفصحى أن يجعل الأحداث تتميز بطابعها الواقعي، وذلك لما للألفاظ من دلالات موحية بتراتها العامي ومحاولة إثبات لهويته لأن اللغة من عناصر الهوية، وكذلك للتعبير عن المواقف المضحكة. فاللغة الفصحى في كثير من الأحيان تعيق ذلك وتعبير أدق لا تستطيع إيصال المعنى كما في الاستعمال العادي.



خاتمة

## خاتمة

بعد دراستنا للسخرية في النص السير ذاتي في مدونة "مذكرات الولد الشقي"

ل:محمود السعدني أنموذجاً. يمكن تلخيص نتائج البحث في النقاط الآتية:

➤ اتضح لنا أن جل تعريفات السخرية تصب في مفاهيم ( القهر، الاستهزاء

الضحك، الفكاهة .. ). فهي شكل من أشكال الأدب الفكاهي، الذي قوامه

الضحك والإضحاك، بالإضافة إلى أنها من أساليب النقد الموجه للأفراد

والجماعات و حتى الذات. وهذا النوع من التأليف الأدبي يقوم على تصيد

النقائص وانتقاد الرذائل بروح مرحة.

➤ السخرية عملية إنسانية تؤدي وظيفة دلالية في حياة الإنسان، يُعبر من خلالها

عن بعض سلوكياته حيال نفسه أو حيال الآخرين، كتخفيف آلام النفس؛ وذلك

بتفجير المكبوتات التي تزيد من توتر الإنسان وقلقه، كما تعمل على تهذيب

وتقويم تصرفات الأفراد، وذلك بإبراز مواطن الضحك مخافة الوقوع في مثل

هذه المواقف المثيرة للسخرية؛ وبهذا فهي بمثابة بطاقة إنذار للتحذير من

التصرفات الخاطئة. وليس هذا فحسب فهي وسيلة للنكاية بالخصم بسبب وقعها

في الأنفس.

➤ لا ننسى الدافع الاجتماعي للسخرية الذي أساسه المحافظة على كيان

الجماعة. وبعد هذا كله فإنها تحقق أغراض خاصة بالسخر؛ إذ يصبح

أدبه وجهة عدد كبير من القراء وعليه يصبح وسيلة لجلب المال.

أما عن النتائج التي توصلنا إليها في ضوء دراستنا للسيرة الذاتية نجملها في النقاط الآتية:

- تتفق المعاجم العربية والغربية في كون السيرة الذاتية هي تاريخ حياة فرد؛ هي كتابة حياة شخص بقلمه، ولا تبتعد التعريفات الاصطلاحية عن هذا التعريف التي ترى بأنها تتعلق بالواقع؛ بأن يذكر الفرد أحداثا وقعت له ويقص حياته والعوامل التي ساعدت على وصوله إلى ما وصل إليه.
- الفرق الجوهرى بين السيرة الذاتية والغيرية، يكمن في كون السيرة الغيرية تبحث عن حياة شخص مشهور والظروف المحيطة به، في حين أن السيرة الذاتية هي بحد ذاتها وثيقة بقلم الكاتب تعرف به وبظروفه.
- كاتب السيرة الذاتية عندما يحدثنا عن دخائل نفسه وتجارب حياته، يكون مضمرا من وراء ذلك أهداف أخرى ليس فقط من أجل كتابة حياته، قد يكون بغرض الدفاع عن النفس، أو لتخفيف الضغوطات التي مرت به، أو ليترك أمام القارئ سلسلة من الحوادث التي مرت به وليحتذى به وغير ذلك.
- السخرية في النص السير ذاتي تنفيسا وظرف و وقاية .
- تتعدد أساليب السخرية التي استعان بها محمود السعدني في مدونته، إلا أن الفكاهة كانت واحدة لتشمل التصوير الكاريكاتوري، الذي يعكس الواقع الداخلي والخارجي الذي رصد فيه النقائص بشكل ساخر.

- امتاز السعدني بجرأته في التعامل مع اللغة بالتلاعب بألفاظها، لتأدية معاني مختلفة حيال موضوع من الموضوعات.
- تقوم المحاكاة الساخرة بتغيير وجهة النظر للأشياء لاحتوائها على عنصر الضحك.
- الأديب الساخر الموهوب هو الذي يمتلك القدرة على قلب الأحداث، ليبدل على المعنى الذي يريده أحسن دلالة ويجعلها مناسبة ومنتاسبة مع المقام .
- ينبض غلاف مذكرات الولد الشقي بالسخرية دقات متتالية بدءاً من العنوان إلى الصورة التي تتوسطه بالإضافة إلى اختيار الألوان المناسبة .
- تعد المقدمة من أهم عتبات النص الموازي؛ لأنها تفتح الباب على مصراعيه للقارئ للولوج إلى عالم النص، وخاصة ما جاء في مقدمة هذه المدونة من اعتراف يصيب حقائق الحياة الذاتية في سلوكها العام، يصرح فيها بكل ثقة بأنها سلسلة من الأخطاء.
- تعتبر تقنيات الصورة من أهم نقاط التصوير الساخر لأثرها العميق في ترسيخ هذا التصوير، فقد تفاعلت والخطاب اللغوي المكتوب لتتسلل إلى أعماق المتلقي وتزيد من حدة السخرية، فهي صور هزلية ملمة بالحدث والشخصية والفكرة.
- الشخصية حلقة وصل بين عناصر هذه المدونة، ويتحدد وجودها بما يحيط بها فالشخصية الرئيسة تتخذ أكثر من وظيفة، هي المؤلف والسارد و الساخر في الوقت ذاته.

➤ يتميز الحوار بالروح الساخرة التي تبعث الحياة في النص الساخر. وقد اعتمد

السعدني على الحوار بنوعيه الداخلي والخارجي؛ الداخلي في تحقيق ما لم

يتحقق والخارجي تتجلى فيه قدرة الأديب على الإفصاح عن فكرته.

➤ اللغة التي استعملها الساخر لها دور مركزي في خلق وبناء المعنى الكلي للنص

القائم على السخرية، فاستخدامه للألفاظ العامية يقرب من التصوير الحي

المباشر من الموقف، وما لذلك من تأثير فكاوي.

وفي الأخير نحمد الله عز وجل الذي أمدنا بالصبر والعون والمقدرة على إنجاز هذا

البحث ونسأله التوفيق دوما لما فيه الصلاح والخير.

ماتق

## ملخص

تنطلق أحداث "مذكرات الولد الشقي" لـ: محمود السعدني، من مرحلة الطفولة التي يصور فيها حالة التشرد والحرمان، التي تنقله من مكان إلى آخر من الجيزة إلى القاهرة وغيرها، وذلك من أجل أن يثبت ذاته الفريدة المتميزة التي يصعب على الزمان أن وجود بمتلها؛ لأنها ترغب في التغيير بنظرة ثابتة ساخرة، فيبدو متفائلا أحيانا ومتشائما أحيانا أخرى في بلوغ الهدف في هذه المرحلة لما لها من أهمية؛ لأنها تشكل البذور الأولى لرؤيته المستقبلية للعالم والوجود.

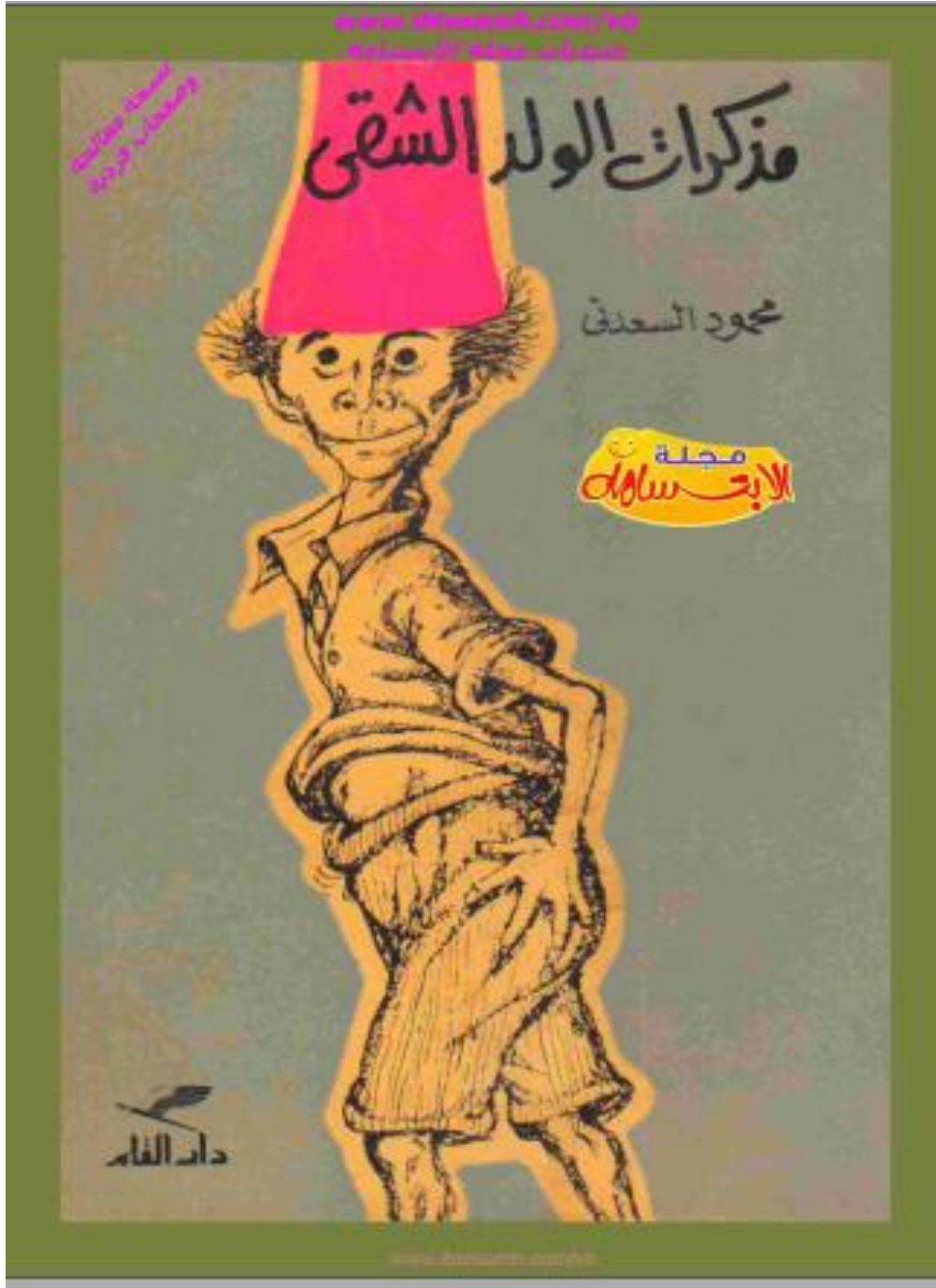
كان دائم الهروب من المدرسة كان يتمنى لنفسه دوام المرض من أجل ذلك! إلا أن القدر يفاجئه دائما بما لا يتوقع، وينتقل من مدرسة إلى أخرى، ويقوم بالعديد من المغامرات الصبانية الشاذة التي ما إن ذكرت وإلا يعلم من الفاعل.

وبعد تقديمه للمحاور الدالة على الواقع المعيش، يعاود الحديث عن محيطه الداخلي عن العلاقة القائمة بين والديه، إلا أنه لا يكرر الحديث عن الجو العائلي ويحمل الشارع والمدرسة مركز الثقل في الحديث.

قام في المذكرات بتسليط الضوء على الوضع الاجتماعي والاقتصادي الذي كان مترددا آنذاك، وفي الصفحات الأخيرة ينقلنا في جولة إلى الوضع السياسي الذي لم يكن هو الآخر مستقر؛ وذلك للحرب القائمة بين المصريين والإنجليز، ناقلا لنا الأحداث عصفت به التي شكلت شخصا اسمه محمود السعدني، وهذه الصور تكشف لنا عن أيام صباه التي جعلته يسخر بدل من أن يحقد.

ويتوقف عن عملية سرد الأحداث إلى غاية بلوغه سن السابعة عشر، أين يحاول الدخول إلى عالم الصحافة بكتابة أول مقال له. وفي ختام حديثه يطمح إلى كتابة (مذكرات الرجل الشقي)، وبهذا يترك القارئ يصرع العديد من الأسئلة، بعدما عرّف شقاوة الصغر، كيف ستكون شقاوته بعدما أصبح رجلاً؟ ومن سيتصدى للطوب الذي كان يمر به المارة؟ هي أسئلة يتركها السعدني، ولا يمكن الإجابة عنها دون قراءة مذكرات الرجل الشقي.





صورة الغلاف



[www.filesamh.com/vb](http://www.filesamh.com/vb)

صورة رقم (1)



[www.illustrations.com/112](http://www.illustrations.com/112)

صورة رقم (2)



[www.libraries.com/vb](http://www.libraries.com/vb)

---

صورة رقم (3)



[www.Ritesamh.com/vj](http://www.Ritesamh.com/vj)

صورة رقم (4)



٦٢

[www.ibtesamh.com/vb](http://www.ibtesamh.com/vb)  
صورة رقم (5)



١٩٢

صورة رقم (6)

# قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

### المصادر

2. الخليل بن أحمد الفراهيدي:

- كتاب العين، تح، عبد الحميد هنداوي، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003 .

3. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور:

- لسان العرب، مادة (س خ ر)، مج7، دار صادر، بيروت، ط1، 1997.

4. محمود السعدني:

- مذكرات الولد الشقي، دار القلم، القاهرة، د ط، د ت.

### المراجع

#### المراجع بالعربية:

5. باسم ناظم سليمان ناصر المولى:

- سيكولوجية الفكاهاة في مقامات بديع الزمان الهمذاني، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية د ط، 2012.

6. بلاسم محمد:

- الفن التشكيلي قراءة سيميائية في أنساق الرسم، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2008.

7. توفيق الحكيم:

- فن الأدب، دار مصر للطباعة، د ط، د ت.

8. جميل حمداوي:

- سيميوطيقا العنوان، اللوحة مصدق الحبيب، المغرب، ط1، 2015.

9. حامد عبده الهوال:

- السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ط، 1982.

10. حسن محمد حماد:

- تداخل النصوص في الرواية العربية دراسات عربية، مطابع الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، د ط د ت.



11. حسن نجمي:  
- شعرية الفضاء السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2000.
12. عبد الرحمان محمد محمود الجبوري:  
- السخرية في شعر البردوني دراسة دلالية، المكتب الجامعي الحديث، العراق، د ط، 2011.
13. زهير الصاحب، نجم حيدر وآخرون:  
قراءات وأفكار في الفنون التشكيلية، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2011.
14. زهير مبارك:  
- السخرية في الرواية العربية، مركز الرواية العربية، تونس، ط1، 2011.
15. ساميا بابا:  
- مكوّن السيرة الذاتية في الرواية حكايتي شرح يطول لحنان الشيخ، دار عيذاء، عمان، ط1  
2012.
16. سعيد أحمد غراب:  
- السخرية في الشعر المصري في القرن العشرين دراسة وتحليل ونقد، دار العلم والإيمان، دسوق  
ط1، 2009.
17. سوزان عكاري:  
- السخرية في مسرح أنطوان غندور، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، د ط، 1991.
18. شاكر عبد الحميد:  
- الفكاهة والضحك رؤية جديدة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، 1978.
19. شريبط أحمد شريبط:  
- تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة 1947 - 1985، منشورات اتحاد الكتاب  
العرب، د ط، 1998.
20. شعبان عبد الحكيم محمد:  
- السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث رؤية نقدية، دار العلم والإيمان، دسوق، ط1، د ت.
21. شوقي ضيف:  
- في الشعر والفكاهة في مصر، دار المعارف، القاهرة، د ط، 1999.

22. صابر عبيد:  
- التشكيل السير الذاتي التجريبية والكتابة، دار نينوى، سورية، د ط، 2012.
23. عبد العزيز شرف:  
- الأدب الفكاهي، الشركة المصرية العالمية، مصر، ط1، 1992.
24. عزيز صالح:  
- الفكاهة في النثر العباسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010.
25. علي محمد السيد خليفة:  
- الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمداني دراسة تحليلية، دار الوفاء، الاسكندرية، ط1، 2010.
26. عياض عبد الرحمان الدوري:  
- دلالات اللون في الفن العربي الإسلامي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2002.
27. فايز صلاح عثمانة:  
- السرد في رواية السيرة الذاتية العربية، الوراق، عمان، ط1، 2014.
28. عبد القادر الشاوي:  
- الكتابة والوجود السيرة الذاتية في المغرب، أفريقيا الشرق، لبنان، د ط، 2000.
29. قدور عبد الله ثاني:  
- سيميائية الصورة مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008.
30. عبد الله الكدالي:  
- الهزل والسخرية من منظور فلسفات الأخلاق، المركز الثقافي للكتاب، المغرب، ط1، 2018.
31. محمد صابر عبيد وسوسن البياتي:  
- جماليات التشكيل الروائي دراسة في الملحمة الروائية "مدارات الشرق" لنبيل سليمان، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012.
32. محمد صابر عبيد:  
- سيمياء النص الموازي التنازع التأويلي في عتبة العنوان، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان ط1، 2016.

33. محمد عبد الغني حسن:

- التراجم والسير، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1980.

34. مسعود بودوخة:

- الأسلوبية وخصائص اللغة الشعرية، عالم الكتب الحديث، الأردن، د ط، 2011.

35. نبيلة إبراهيم:

- أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب، القاهرة، ط3، د ت.

36. نزار عبد الله خليل الضمور:

السخرية والفكاهة في النثر العباسي، دار حامد، عمان، ط1، 2012.

37. نعمة شعراي:

- أدب السيرة سيرتك مفتاح وظيفتك، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، 2004.

38. نعيمة سعدية:

- التحليل السيميائي والخطاب، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2016.

39. يحيى إبراهيم عبد الدايم:

- الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، د ت.

40. يوسف الإدريسي:

- عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2015.

### المراجع المترجمة:

41. فيليب لوجون:

- السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، تر، عمر حلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1994.

42. بيار جيرو:

الأسلوبية، تر، منذر العياشي، دار الحاسوب، حلب، ط2، 1994.

43. هنريش بليت:

البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر، محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، د ط، 1999.

### الرسائل الجامعية:

44. إيمان طبشي:

- النزعة الساخرة في قصص السعيد بوطاجين، ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، ورقلة، 2010.

45. جريس مخول:

- العنبات النصية والنص الموازي الكتاب لأدونيس نموذجاً، ماجستير، جامعة حيفا، كلية العلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، 2009.

46. محمود العناني:

- فن السخرية في أدب الجاحظ، الدكتوراه، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، قسم الأدب والنقد، 1974.

### المجلات والجرائد:

47. رشيد شعلال:

- "النص والنص المصاحب قراءة في تشكل الحدث الشعري" اللعنة والغفران"، مجلة المخبّر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، بسكرة العدد6، 2010.

48. عبد المجيد البغدادي:

- " فن السيرة الذاتية وأنواعها في الأدب العربي" ، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، باكستان العدد23، 2016.

الملتقيات:

49. إبرير بشير:

- " الصورة في الخطاب الإعلامي" ، محاضرات الملتقى الدولي الخامس " السيمياء والنص الأدبي" جامعة محمد خيضر، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي، بسكرة، 15 - 17 نوفمبر 2008.

مواقع وروابط الأترنت:

50. وجهة نظر كامل الشناوي، في مذكرات الولد الشقي. الموقع الإلكتروني:

[www.ibtesamh.com/vb](http://www.ibtesamh.com/vb)

المراجع باللغة الأجنبية:

51. Le Petit Larousse illustré ; 75283 paris cedex 06.
52. Gerard Genette ; Introduction to the Paratext , trans; Marie Maclean, New literary, History, vol 22, no, 2, spring 1991.

فهرس

الموضوعات



2.3 الرغبة في اتخاذ موقف ذاتي.....(23)

3.3 التخفيف من ثورة أو انفعال.....(24)

4.3 تصوير الحياة المثالية.....(24)

5.3 تصوير الحياة الفكرية.....(24-25)

6.3 الرغبة في استرجاع الذكريات.....(25)

ثالثا: السخرية في النص السير الذاتي.....(25-26)

الفصل الأول: أساليب السخرية في الرواية.....(30-61)

1. التصوير الكاريكاتوري.....(32)

2. التلاعب بالألفاظ.....(41)

3. السخرية بالمحاكاة.....(46)

4. السخرية عن طريق الصوت والحركة.....(51)

5. السخرية عن طريق القلب والعكس.....(56)

6. المناداة بالألقاب.....(61)

الفصل الثاني: السخرية في المستويين الطباعي والحكائي... (67-97)

1. المستوى الطباعي.....(67-80)

1.1 الغلاف.....(68)

2.1 المقدمة.....(75)

3.1 الصور المصاحبة.....(80)

2. المستوى الحكائي.....(84-97)



1.2	الشخصيات	(89-85)
1.1.2	الشخصيات الرئيسية	(86)
2.1.2	الشخصيات الثانوية	(89)
2.2	الحوار	(96-93)
1.2.2	الحوار الخارجي	(93)
2.2.2	الحوار الداخلي	(96)
3.2	اللغة	(97)
	خاتمة	(103)
	ملحق	(115-108)
	قائمة المصادر والمراجع	(117)

## ملخص

تتناول هذه الدراسة السخرية في النص السير الذاتي التي قمنا فيها بتسليط الضوء على مذكرات الولد الشقي لـ:محمود السعدني. لمعرفة الخصائص التي جعلت من أدبه فنا أدبيا له سماته الخاصة.

تقع الدراسة في مدخل وفصلين وخاتمة، حيث ضبط في المدخل بعض المصطلحات كالسخرية والسيرة الذاتية مع محاولة معرفة دوافع السخرية وأقسام السيرة الذاتية واقفين عند السخرية في النص السير الذاتي.

كانت الانطلاقة في الفصل الأول بأساليب السخرية في الرواية، متوجهين في الفصل الثاني صوب السخرية في المستويين الطباعي والحكائي، وكيف لعب كل مستوى في تجسيد السخرية. وفي الأخير توصلنا إلى مجموعة من النتائج جمعت في الخاتمة.

## Abstract

This study deals with the irony in Autobiography ' s text. We choose " **the diary of the naughty boy** " for **Mahmod Esaanani**, in order to know the characteristics which made his literature as a distinctive art that has its particular features.

This study has an introduction, two sections, and a conclusion. We tackle in the introduction several terms like irony and biography, with the attempt to identify the reasons of irony biography 's parts, and irony in biography 's text.

In the first section, we deal with the techniques of irony in novel. While in the second section, we tackle the irony at the level of story and be printe , and its role irony in each level. Finally, we arrive at a group of results that we collect them in the conclusion.